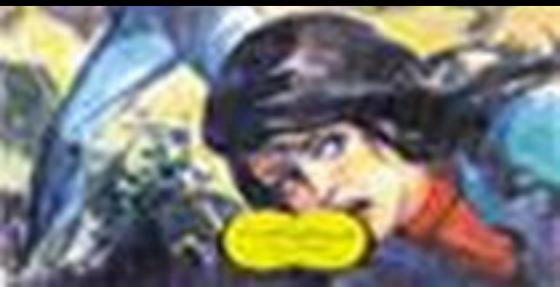




www.helmelarab.net



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المختبرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - اقتحام ..

عبر (قدرى) بسيارته الصغيرة مدخل المخابرات العامة المصرية ، فى الصباح الباكر كعادته ، ودار بها فى الساحة الكبيرة ، أمام المبنى الصامت ، الذى لا يوحى أبداً بكل ما تموج به حجراته من حيوية ونشاط ، ثم توقف بها فى المكان المخصص له ، وجاهد كالمعتاد لينتزع جسده الضخم منها ، حتى نجح فى هذا ، فوقف أمامها يلثث من فرط المجهود والبدانة ، وشفتاه تحملان ابتسامة ظافرة طريفة ، كما لو أنه قد انتصر فى معركة كبرى ، ثم انحنى يلتقط من داخلها لفافة كبيرة ، تلوح منها رائحة شهية ، عندما اتبعت من خلفه صوت يقول فى حزم عجيب :

- (أدهم صبرى) .

انتفض (قدرى) للمفاجأة ، واهتز جسده البدين الضخم ، فالتفتت اللفافة ، وسقطت منها كومة من الشطآنر ، تناثرت على مقعد القيادة ، داخل السيارة الصغيرة ، وهو يلتفت فى حركة حادة سريعة إلى مصدر الصوت ، ويهتف فى مزيج من الدهشة والحنق :

- (حسام) .. لقد أفرغتنى .

كانت هناك نظرة عجيبة ، تطل من عيني (حسام) .
وهو يقول :

- لم أكن أقصد هذا .

ثم اتحنى فى بساطة يجمع الشطائر ، ويعيدها إلى
اللفافة ، فتتحنج (قدرى) ، وقال فى شيء من الخجل :
- إنها بعض شطائر القول ، والد ..

قاطعته (حسام) ، وهو يعيد إليه اللفافة :
- بالهناء والشفاء .

التقط (قدرى) اللفافة ، وضّمها إليه فى اهتمام ، وهو
يقول لـ (حسام) :

- ولكن ماذا كنت تقول ؟

أجابته (حسام) فى حزم :

- كنت أقول إنه (أدهم صبرى) .. هذا هو التفسير
المنطقي الوحيد .

سأله (قدرى) فى حذر :

- تفسير ماذا ؟

أجابته (حسام) ، وهو يسير إلى جواره :

- تفسير ذلك الاطمئنان العجيب ، الذى يملأ قلبك تجاه
(منى) ، على الرغم من قيامها بمهمة منفردة بالغة
الخطورة ، فى (برازيليا) .

أزرد (قدرى) لعابه ، وقال :

- لقد ناقشنا هذا الأمر من قبل ، و

قاطعته (حسام) وهو يواصل حديثه ، وكأنما يأبى أن
يترك له فرصة للمناقشة :

- لقد أسند المدير لـ (منى) مهمة تفوق قدراتها
وحدها ، ألا وهى محاولة إيقاف (ميخائيل ليفى) ، السفير
الإسرائيلى فى (البرازيل) ، ومدير مكتب (الموساد)
فيها ، عن أعماله المستمرة لتحطيم كل مصالحنا هناك ،
محتمياً بالحصانة الدبلوماسية ، التى بمنحها منصبه ، ثم
استدعاه بعد انصرافها إلى مكتبه ، وبعدها اختفيت أنت
نصف الساعة أو ما يقل عنها ببضع دقائق ، وعدت
للظهور مبتسماً هادئاً ، وانثفاً من أن (منى) لن تواجه أية
مخاطر ، أو أنها ستجد حتماً من يحميها ، أو يعمل إلى
جوارها ، وعندما أخبرتك أنا أننى أنوى السفر إلى
(برازيليا) ، لحمايتها والذود عنها ، طالبتنى بعدم التفكير
فى هذا الأمر ، وبدوت هادلاً أكثر مما ينبغى ، فما التفسير
الوحيد لكل هذا ؟

هز (قدرى) كتفيه ، وقال فى حذر :

- الواقع أننى أثق تماماً بـ (منى) وقدراتها ، و ...

قاطعته هذه المرة فى حزم :

يشعر وكأنه قد فقد شهيته تمامًا ، ويلقى على نفسه سؤالا
واحداً ، تصوج به أعماقه ..
ترى هل يقاتل (أدهم) إلى جوار (منى) بالفعل ؟ ..
هل ؟ ..

بدأت (منى) وفقاً للخطّة ، التي أعدها خبراء
المخابرات العامة المصرية ، وهي تتنحل شخصية عارضة
أزياء بريطانية ، تدعى (إليزابيث وينستون) ، ونجحت في
إثارة انتباه تاجر الأثريات (شالوم) ، بوساطة عملتين
ذهبيتين ، تعودان إلى عهد الفترة الأوتوقراطية
لـ (يوليوس قيصر) ، فأسرع (شالوم) يخبر (ميخائيل
ليفى) بأمر العملتين ، مما ألهب حماس هذا الأخير ،
الفارق حتى أذنيه في هواية جمع العملات الأثرية ، فاندفع
محاولاً إقناع (منى) ببيع العملتين ..

وكان هذا بالضبط ما تنتشده المخابرات المصرية ..
وفي إطار الخطّة الموسوعة ، رفضت (منى) تمامًا
بيع العملتين ، وفجّر هذا مزيداً من العناد والإصرار ، في
نفس (ليفى) ، الذي أمر رجاله بالبحث عن العملتين ، حتى
ولو اضطروهم الأمر إلى تدمير حجرة (منى) بالفنشق ، أو
سرقه حقيبة يدها ..

- وفي وجود (أدهم صبرى) إلى جوارها .
ازبدرد (قدرى) نعايه مرة أخرى ، وقال :
- ولكن يا عزيزى (حسام) .. كلانا يعلم أن (أدهم
صبرى) قد لقي مصرعه هناك فى (المكسيك) .
قال (حسام) فى غضب :
- كفى يا (قدرى) .. إننى أكره أن يخدعنى صديق .
لاذ (قدرى) بالصمت التام ، وهو يتطلع إليه فى قلق ،
فواصل فى عصبية :
- صحيح أننى لا أملك دليلاً حاسماً ، على أن (أدهم
صبرى) لا يزال على قيد الحياة ، ولكننا لسنا فى ساحة
محاكمة ، ليحكم الأمر وجود دليل مادى ، يكفىنى كل
مادى من قرآن ، لأجزم بأن (أدهم صبرى) ما يزال حيّاً
يرزق ، وأنه فى هذه اللحظة بالذات ، يحارب إلى جوار
(منى) ، ومهما فعلت أو حاولت ، فلن يتركك أبداً إقناعى
بالعكس .

قالها واندفع مبتعداً فى حدة ، و (قدرى) يتابعه
ببصرة فى قلق وأسف ، ثم لم يلبث أن دفع قدميه أمامه
دفعاً حتى حجرته . وأغلق بابها خلفه ، وألقى جسده
الضخم على أقرب مقعد إليه ، وألقى لفافة الشطائر على
المنضدة المجاورة ، وألقى عليها نظرة لامبالية ، وهو

وفعل الرجال هذا وذلك، وعلى الرغم من هذا فلم يعثروا على العملتين، اللتين أخفقتما (منى) بكل مهارة، ولكن (منى) نظاهرت بالانهيار، واتصلت بـ (ليفي)، وأبلغته استسلامها، وموافقتها على بيع العملتين .. وحملت (منى) العملتين داخل علبة من المخمل المرصع بالماس، والتي تعد في حد ذاتها تحفة لا تقاوم، ولكن في قاعها يخفى جهاز تصنت دقيق .. ولكن (ليفي) كان يحمل المفاجأة ..

لقد كشف أمر (منى)، بوساطة بصمات أصابعها، وحصل على العملتين وهو يسخر منها، ومن المخابرات المصرية، ثم تركها تتصرف من مكتبه، وأمر مساعده (دان) بالقضاء عليها خارج السفارة المصرية .. وبوساطة مفتش شرطة مرتش، وهو المفتش (لوبيز)، استدرج رجال (ليفي) (منى) إلى منطقة شبه مهجورة، حيث حاصروها، وحاولوا تحطيمها وقتلها، و ... وفجأة ظهر (أدهم) ..

ظهر كملاك حارس، انقضَّ على الرجال، وانتزع (منى) من بين أيديهم، وأنقذها من براثنهم، وعاد بها إلى الفندق سالمة ..

وهنا بدأت مرحلة جديدة من الصراع ..

لقد اشترك (أدهم) في القتال، وجعل (منى) تتصل بـ (ليفي)، وتسخر منه، على النحو الذي استغلَّ هذا الأخير، وجعله يقرر تدمير (منى) تمامًا ..

ومرة أخرى زار (لوبيز) (منى)، ولكن بصفته مفتشًا للشرطة، متهمًا إياها بحمل جواز سفر زائف، في نفس الوقت الذي كان (أدهم) فيه يقتحم السفارة الإسرائيلية، ويواجه (ليفي) ورجاله مواجهة عنيفة .. وسقطت (منى) في أيدي الشرطة، ونجح (أدهم) في الفرار من (ليفي) ورجاله، ولكن (ليفي) وضع خطة لتهرب (منى)، وتصيح خارجة على القانون، ثم ألقى رجاله القبض عليها، وأفقدوها وعيها، ثم حملوها إلى قُبو خاص، في قلب السفارة الإسرائيلية، لاستجوابها، وللإيقاع بزميلها، الذي يصر (ليفي) على أنه (أدهم صبرى) نفسه، على الرغم من كل الأوراق الرسمية، التي تشير إلى مصرع (أدهم) في البرازيل ..

وتفجَّر الغضب في أعماق (أدهم صبرى)، عندما كشف غياب (منى)، فتحوَّل إلى وحش كاسر، وهو يسعى للتوصل إليها، واقتحم قسم الشرطة، ثم هاجم (لوبيز) في منزله، وحطم أنفه وأسنانه ويده، حتى علم

منه أن (منى) فى قبضة السفير الإسرائيلى ، فأتطلق إلى
السفارة الإسرائيلية فى حزم وعناد ..
وفى أسرها علمت (منى) أن سيارة تهاجم السفارة ،
وأن حراس الأمن قد أطلقوا نيران مدافعهم على سائقها ،
ثم أعلنها (ليفى) أن (أدهم) قد لقي مصرعه بالرصاصات
الإسرائيلية ، فتفجرت الدموع فى عينيها ، وانهارت ..
انهارت تمامًا (*) ..

على الرغم من أن (ليفى) كان يفضل الإبقاء بـ (أدهم)
حيًا ، إلا أن النشوة عربدت فى جسده حتى النخاع ، عندما
أعلن رئيس أمن السفارة ، عبر اللاسلكى ، بمصرع مقتحم
السفارة ، فأتطلق يقهقه فى ظفر جنونى ، وتألقت عينه
الواحدة فى نصر وحشى ، وهو يهتف فى وجه (منى) :
- إنه النصر التام .. النصر على مخابراتكم كلها .. اسم
(ميخائيل ليفى) سيدخل تاريخ المخابرات من أوسع
أبوابه ، وسيحمل إلى جواره لقب (الرجل الذى قتل
الأسطورة) .

(*) لمزيد من التفصيل ، راجع الجزء الأول .. (سفير القطر) ..

المغامرة رقم (٨٨) .

انهمرت دموع (منى) فى مرارة أكثر ، فى حين التفت
حاجبا (دان) ، وهو يقول فى قلق حذر :
- هذا لو أن قائد السيارة هو نفسه (أدهم صبرى) .
هتف (ليفى) فى انفعال :
- إنه هو .. فليقطع نراعى لو لم يكن كذلك .. لا تجعل
خدعة مصرعه هذه تريكك ، كما أرانا أن يفعلوا .. (أدهم
صبرى) حى .. أقصد كان كذلك ، قبل أن يصاب بالجنون ،
ويقتحم سفارتنا الحصينة ، وقبل أن ..

قاطعت صيحة رئيس الأمن ، التى أتطلقت عبر جهاز
اللاسلكى ، حاملة كل التوتر والعصبية ، وهو يقول :
- سيدى السفير .. لقد خدعنا .

ترقف انهماك الدموع بقعة من عيني (منى) ، واعكست
فى لهفة ، فى حين انتفض جسد (ليفى) ، وشحب وجهه ،
واتسعت عينه ، وهو يهتف :

- ماذا ؟ .. ما الذى تقصده بقولك هذا يا رجل ؟

أجابته رئيس الأمن بصوت مرتجف :

- ما أطلقنا النار عليه داخل السيارة ، لم يكن سوى
نمية من القش ، لها حجم رجل بالغ ، وترتدى حلة سوداء ،
ورباط عنق أحمر .. لقد خدعنا أحدهم لسبب ما .

أطلقت (منى) صيحة فرح قصيرة ، والسعادة تتفجر
في أعماقها كالسيل ..

إنهم فهم لم يظفروا به ..

لم يقتلوه ..

لقد خدعهم كالمعتاد ..

خدع الجميع بضربة زائفة ..

قطع أفكارها صوت (دان) ، وهو يهتف :

- أنا أعرف السبب .

صاح (ليلى) فى غضب جنونى :

- وأنا أيضا .

وكادت أصابعه تنعصر جهاز اللاسلكى ، وهو يهتف

عبره فى عصبية بالغة :

- أطلق رجالك كلهم فى حديقة السفارة يارجل .. لقد

جذب ذلك الشيطان انبهاهم جميعا إلى البوابة ، ولا ريب

أنه تصلل من الحديقة الخلفية إلى السفارة .. ألقوا القبض

عليه ، ولا تسمحوا له بالفرار ، وأرسل خمسة من أقوى

رجالك لحراسة القبو ، وأشعل كل أجهزة الأمن والحماية ،

التي تمنع أى مخلوق من التسلل إليه .

أجابته الرجل فى توتر بالغ :

- سأفعل ما يوصى ياسيدى السفير ، فلا فتاحم أيقظ

المنطقة كلها ، وحركة الحراس تثير الأقاويل ، ولن نلبث
أن نجد أنفسنا محاطين برجال الصحافة والإعلام ، وقوات

الشرطة ، و ..

صرخ به (ليلى) مقاطعا :

- افعل ما أمرتك به .

وأنهى الاتصال فى عنف ، ثم أدار وجهه ، فارتطمت

عنايه بنظرة (منى) الساخرة ، مما جعله يقول ثائرا :

- سأمرق وجهك هذا ، لو احتفظ بابتسامته هذه .

أجابته ساخرة :

- إنهم فقد خدعكم زميلى العزيز .

صرخ فى غضب :

- ولكنه لن يفلت من أيدينا .. لن يهرب (أدهم صبرى)

مرة ثانية .

هرأت كتفها ، وعاونتها ثقتها وهى تقول :

- ما زالت عقدة (أدهم صبرى) تسيطر على تفكيرك ،

وتشل عقلك المرتجف المريض .

انقض عليها فجأة ، وجذبها من شعرها فى قسوة ،

وهو يقول :

- إنه هو .. لن يمكنك خداعى أبدا .. إنه هو .

ثم دفعها بعيدا ، وهو يستعطر :

- لا أحد غيره يجزى على العمل بهذا الأسلوب .. لقد
اقتحم السبقارة، بكل الجرأة والصفاقة، وسبحا
الوصول إلى هنا، وإتقانك من بين أيديني .
وبركت عيناه على نحو مبالغت، مع استطرادته :
- وهذا ما أتمنى أن يفعله .

وفي حركة حادة عصبية، مال نحوها، وتابع ملتحذا
بسنابته في وجهها :

- هذا القبو يعد حصنا حصينا، فهو مصلح، يحتمل
انفجار عشرات القنابل، وله مدخل واحد، عبارة عن ممر
طويل، لابد لمن يعبره من أن يحفظ خمس عبارات شفرية
سرية، وإلا فسيخطو فوق ثلاثة أمتار من الأسلاك
المكهربة، ويعبر ممر مدافع الليزر القاتلة، ثم يواجه غازا
سدينا، وبعدها سيكون عليه أن يعرف كلمة السر، لفتح
باب القبو .

واعتدل بحركة حادة أخرى، مضيفا :

- باختصار .. من المصحح أن يصل إلى هنا .
قالت ساخرة :

- ولكن لو أنه (أدهم صبرى) بالفعل، فلن يصبح
هذا مستحيلا .

امتقع وجهه، وهو ينظر إليها في غضب، ثم استل من
جيبه فجأة خنجرًا ماضيًا، وجذبها من شعرها في قوة،
لوجبرها على رفع رأسها، ثم وضع نصل الخنجر الحاد
على عنقها، وقال في قسوة وحشية مخيفة :
- في هذه الحالة سيضيع مجهوده هباءً، فسيصل ليجد
زميلة عمره مجرد جثة .. جثة هامدة .
وهوى قلب (منى)، مرة أخرى، بين قدميها ..



٢ - المستحيل ..

امتلات نفس رئيس أمن السفارة الإمبراطورية بمزيج من التوتر والقلق والعصبية، وهو يراقب حثثًا من الصحفيين، أحاط بالسفارة، وراح يلتقط الصور بالعدسات المقرية، للسيارة التي اقتحمت المكان، والتي نقلها رجال الأمن إلى حديقة السفارة، وقال رئيس الأمن في سخط :
- كيف بلغ الخبر أولئك الصحفيين، بهذه السرعة المدهشة ؟..

أجابته مساعده في حدة :
- يبدو أنهم يمتلكون أنوفًا أكثر حساسية مما كنا نتصور .

مط رئيس الأمن شفتيه، وقال :
- حتى الكلاب البوليسية المدربة، لا يمكنها تتبع رائحة الحادث إلى هنا، خلال سبع دقائق فحسب، كما فعل هؤلاء .

عقد مساعده حاجبيه، قائلاً :
- هذا صحيح .. هناك سر غامض إذن خلف وصولهم، أو ...



ثم استل من جيبه فجأة خنجرًا ماضيًا، وجذبها من شعرها في قوة،
ليجبرها على رفع رأسها، ثم وضع نصل الخنجر الحاد على عنقها ..

قاطعته حركة حادة ، قام بها رئيس الأمن ، فالتفت إليه
بمسألة في سرعة :

.. ماذا هناك ؟

أجاب الرئيس ، وهو يشير إلى حقيبة سيارة (أدهم) :
.. هناك شيء ما داخل هذه الحقيبة .

تطلع المساعد إلى الحقيبة في توتر ، وازداد اعتقاد
حاجبيه ، عندما التقطت أنفاه تلك الدقات الواضحة ، داخل
حقيبة السيارة ، وقال في حزم وصرامة :
.. أو شخص ما .

استل مسدسه الشخص ، واتجه في حزم إلى حقيبة
السيارة ، وأشار إلى رئيسه بالصمت ، ثم ركل قفل الحقيبة
ركلة قوية ، وانفتح بابها في عنف ، فقفز يصوب مسدسه
داخلها ، و ...

وتجمد في مكانه ، وهو يحذق في القنبلة الزمنية
الصغيرة داخل الحقيبة ، ثم لم يلبث أن استعاد شعوره بما
حوله ، فصاح :

.. ابتعد ياسيدى .. إنها ..

ودوى الانفجار ..

انفجار نصف حقيبة السيارة ، وألقاه إلى مسافة ثلاثة
أمتار بعيداً عنها ، وألقى رئيسه على وجهه ، وسط حديقة

السفارة ، وألهب عقول واتفعالات جيش الصحفيين ،
فسطعت مصابيح آلات التصوير ، واندفعت عشرات
الأجساد إلى بوابة السفارة ، وراح رجال الأمن يدفعونها
في توتر وعصبية ، محاولين السيطرة على الموقف ، في
حين اندفع بعض حراس السفارة إلى السيارة ، وحاولوا
إطفاء النيران ، التي اشتعلت في خزان وقودها ..

ونهض رئيس الأمن ذاهلاً ، يحذق في السيارة
المشتعلة ، ويدعك أذنيه في توتر شديد ، وقد خُيل إليه أن
الانفجار يدوى في كل مكان في السفارة ..
وفي أعماقه ..

أما مساعده ، فقد هوى في غيبوبة عميقة ، وأسرع إليه
بعض رجال الأمن ، في محاولة لإسعافه ، في حين صرخ
الرئيس في ثورة :

.. اصرفوا هؤلاء الصحفيين من هنا .. أطردهم قبل
أن أطلق النار عليهم جميعاً .

ولكن مصابيح التصوير سطعت أكثر وأكثر ، وازداد
تراحم الصحفيين ، وتضاغطهم على البوابة نصف
المحطمة ، وبدا الموقف عصبياً بحق ، في تلك الليلة ، التي
تبدو كأنها تمضى بلا نهاية ..

وفي قبو السفارة ، قالت (منى) لـ (ليلى) في توتر ،
ونصل خنجره بلامس عنقها ، ويكاد يدميه :

- والآن ماذا ؟ .. هل ستقتلني ؟

بدا لحظة وكأنه سيقدم على هذا بالفعل ، إلا أنه لم يلبث
أن أعاد الخنجر إلى جيبه ، ودفع رأسها في قسوة ، وهو
يغلت شعرها ، قائلاً في حق :

- ليس قبل أن يقع رجلكم هذا بين أيدينا .

هزت رأسها ، لتعيد خصلات شعرها إلى جانبي
وجهها ، وهي تقول :

- من يدري ؟ .. ربما تقع أنت في يده .

صاح في صرامة :

- محال .. لقد تجاوز حدوده ، واقتحم سفارتنا بكل
الوقاحة والصفاقة ، وأقسم لك إنه لن يغادرها حياً .

قالت ساخرة :

- ومن أنراك ؟ .. ربما غادرها بالفعل .

وهنا ارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية ، وهو
يقول :

- اطمئني .. إنه لم يقتحم السفارة ، ويصنع

كل ما صنع ، ليغادر المكان بهذه البساطة ، دون أن يقاتل
لاستعادتك .

وضرب سطح منضدة قريبة بقبضته ، مستطرداً في
صرامة شرسة :

- وعندما يبدأ قتاله هذا ، ستكون في انتظاره ،
وبصحبتنا رفيق لن يروق له أبداً .

ومال نحوها ، مستطرداً في حدة :

- رفيق اسمه (الموت) .

ومرة أخرى امتلأت نفسها بالتوتر والقلق ..

تضاعف توتر رئيس أمن السفارة ، حتى كاد يبلغ
ذروته ، مع ازدياد تضاضط الصحفيين على بوابة السفارة
نصف المحطمة ، بعد فشل رجال الأمن في إبعادهم عنها ،
وشعر الرجل بالسخط والحق يملآن نفسه ، وهو يراقب
رجال الإسعاف ، الذين يعملون على إنعاش مساعده ، الذي
لم يلبث أن سعل ، وهو يفتح عينيه مغمغماً :

- ماذا حدث ؟

أجابه رئيس الأمن :

- لقد نجوت من فخ متفجّر .. هذا كل ما حدث ؟

اعتدل مساعده ، وراح يحذق لحظة في السيارة
المتفجرة ، وفي رتل الصحفيين ، الذين راحوا يلتقطون له

عشرات الصور في لهفة ، ثم استعاد ذهنه الموقف كله دفعة واحدة ، فهبّ واقفاً ، وهو يهتف :

- يا للشيطان !

ولكن حركته العنيفة هذه فجرت عشرات الآلام في جسده ، فتأوه في شدة ، وترك جسده يسقط مرة أخرى فوق المحفة ، التي أرقده عليها رجال الإسعاف ، في حين اندفع أحد رجال الأمن نحو رئيسه ، وهو يقول في انفعال :

- سيدي .. السفير الأمريكي يتحدث هاتفياً ، ويطلب سيادة السفير شخصياً ، فقد بلغتهم أنباء الانفجار ، ويريد الاطمئنان على الموقف بنفسه .

قال رئيس الأمن في حلق :

- بلغتهم الأنباء !؟ .. وكيف وصلتهم بهذه السرعة ؟ .
أراهن أن هؤلاء الأمريكيين يتجسسون علينا ، وأنهم يعلمون أننا ننش السفارة الآن ، بحثاً عن الفاعل .

ثم لوح بذراعه ، مستطرداً :

- صله بالسيد السفير ، في الهاتف الخاص بالقبو .. لو لم يتحدث إليه شخصياً فسيقوم الدنيا ويقعدها . هيا .. إني أعرف هؤلاء الأمريكيين جيذاً .

ابتعد رجل الأمن بسرعة لتنفيذ الأمر ، في حين تأوه المساعد مرة ثانية ، وقال في صوت متهاك :

- من الواضح أننا نقاتل شيطاناً .. لقد فعل بنا ما لم يفعله الإرهابيون ، طوال كل السنوات الماضية .. لقد اقتحم السفارة ، ونجح في التسلل إليها ، وأثار فضول واهتمام جيش من الصحفيين ، ونسف سيارة في ساحة السفارة ، وأيقظ المنطقة كلها ، وكأنه يشن علينا حرباً شعواء ، ولست أدري كيف يفكر بالضبط ؟

عقد رئيس الأمن حاجبيه ، وهو يقول :

- لقد اقتحم السفارة بهذه الضجة ، ليخفي محاولة تسلله ، ويصرف أنظارنا عنها ، وربما نسف السيارة للغرض نفسه ، أو ...
قاطعه مساعده :

- يا للشيطان ! .. ربما كان هذا هدفه بالفعل ، فعندما دوى الانفجار ، خُيِّلَ إلى أن صدها يتردد هناك .
قالها وهو يشير إلى حيث سمع صدى الانفجار ..
إلى نافذة حجرة مكتب (ميخائيل ليفي) ..

ارتفع رنين الهاتف الخاص ، في قبو السفارة الإسرائيلية ، فالتفت إليه أنظار الجميع ، في توتر واضح ، وقال (ليفي) في عصبية :

- ما هذا ؟ .. من سيتصل بنا هنا ؟

اتجه (دان) في سرعة إلى الهاتف ، المثبت في حائط
القبو ، والتقطه قائلًا في توتر :

- من المتحدث ؟

بدا الاهتمام الشديد على وجهه ، وهو يستمع إلى
محدثه ، ثم ناول سعاة الهاتف إلى (ليلى) ، قائلًا :

- إنه السفير الأمريكي ياسيدى السفير .

قال (ليلى) في دهشة :

- السفير الأمريكي ؟

ثم التفت سعاة الهاتف من (دان) ، وقال :

- مساء الخير ياسيدى .. أية رياح طيبة .. ماذا ؟ ..

كلا ياسيدى .. لا .. لا توجد أية اضطرابات أمنية لدينا ..

إنه حادث بسيط ، ونحن نسيطر على الموقف تمامًا ..

اطمئن ياسيدى .. اطمئن تمامًا .

وأعاد سعاة الهاتف إلى موضعها ، وهو يقول في

حنق :

- ماشأن هذا السخيف بنا .. فلتنفجر سيارة في حديقة

السفارة ، أو حتى في حجرات نومنا ، ولكن لا شأن

للأمريكيين بنا .

غمغم (دان) :

- الأمريكيون يحافظون على أمننا دائمًا .

لوح (ليلى) بذراعه ، هاتفا :

- هراء .. إنهم يخشون قوتنا وسطوتنا .. إننا نسيطر

على اقتصادهم نفسه ، ويمكننا تدميرهم وقتما نشاء .

بدت ابتسامة باهتة على شفتي (دان) ، وهو يقول :

- هل سنصنق نحن أيضًا هذا الأمر ، الذى نحاول إقناع

العالم به ياسيدى السفير ؟

اتعقد حاجبا (ليلى) . دون أن يعلق على عبارة

(دان) ، والتفت إلى (منى) ، وهم يقول شيء ما ، عندما

ارتفع رنين الهاتف مرة أخرى ، فعاد يلتقط ساعته بحركة

غريزية ، وهو يغمغم محتفًا :

- ماذا يريد هذا السخيف مرة أخرى ؟

وضع سعاة الهاتف على أذنه ، وقال :

- من المتحدث ؟

جف حلقه بغتة ، عندما سمع صوتًا ساخرًا يقول

بالعبرية :

- هل ترغب حقًا في معرفة من أنا أيها الوغد ؟

اعتصرت أصابع (ليلى) سعاة الهاتف ، وقال بصوت

مختلق :

- من أنت ؟ .. من أنت ؟

لاحظ الجميع احتقان وجهه ، فالتفتت العيون كلها إليه ،

في حين سمع هو (أدهم) يقول بالعبرية، عبر أسلاك الهاتف :

- أنا الرجل الذي سيكسر أنفك أيها الحقير .

صرخ (ليفى) :

- أنت (أدهم صبرى) .. أراهن أنك هو .

اختلج قلب (منى) بين ضلوعها، عند سماعها اسم (أدهم) ، وتطلعت في لهفة إلى وجه (ليفى) وسفاعة الهاتف، في حين التكى حاجبا (دان) في شدة، وراح يراقب رئيسه في توتر، و (أدهم) يقول عبر الهاتف بلهجته الساخرة :

- لأتراهن على ما لا تتكى به أيها الوغد .. إن يعنيك كثيرا أن تعلم من أنا، ولكن اسمعنى جيذا .. أريد منك أن تطلق سراح (اليزابيث) فوراً، وتقودها بنفسك إلى بوابة السفارة، لتستقل واحدة من سيارات الأجرة، وتعود إلى فندقها .

أطلق (ليفى) ضحكة عصبية متوترة، وهو يقول :

- هل تمزح أم أصابك الجنون ؟.. كيف أطلق سراح

الطعم الوحيد، الذى يمكننى اصطيدك به ؟

قال (دان) محفراً :

- لا تدعه يستدركك إلى ذكر الحقيقة ياسيدى .

ولكن (ليفى) تجاهله تماماً، وهو يستمع فى توتر شديد إلى (أدهم) ، الذى يقول :

- ربما تكون مضطراً لهذا ياسفير المهرجين، وإلا فستخسر الكثير .

قال (ليفى) فى حدة :

- لا يوجد ما أخسره .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة، وقال :

- هل تظن هذا ؟.. أسرع إننى إلى خزانة الطريفة، ذات الأرقام السرية، وجهاز الإنذار الذى يعمل باللمس، والخلايا الحرارية الخاصة، فربما تكشف أنك قد فقدت مجموعتك النادرة من العملات الأثرية .

صرخ (ليفى) فى ثورة جنونية :

- فقدت ماذا ؟.. سأقتلك، لو لمست قطعة واحدة من هذه العملات ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- وأنا سأحيلك إلى كومة من النفايات، التى لا تصلح حتى لإشعال موقد قديم صدى، لو لمست شعرة واحدة من رأس (منى) .

صرخ (ليفى) :

- سأقتلها .. سأمزقها إرباً .. سأجعلها تدفع الثمن من ممانها .

- سرق ماذا ؟!.. ولكن مجموعتك كلها داخل الخزانة

الخاصة ، و ...

اتسعت عيناه ، وهو يبتتر عبارته بفتة ، هاتفاً :

- الاتجار .

سأله (ليفى) فى انفعال :

- أى اتجار ؟

اندفع (دان) نحو باب القبو ، هاتفاً :

- أسرع ياسيدى .. ربما قطعها ذلك الشيطان حقاً .

صاح (ليفى) فى حارسه الخاص ، الشبيه بديناصور

بشرى ، وهو يشير إلى (منى)

- احرسها بحياتك بأرجل .

ثم انطلق يعدو خلف (دان) ، إلى خارج القبو ، وتبعه

عبر ممرات السفارة إلى حجرته الخاصة ، التى بلغها

(دان) قبله بلحظة واحدة ، وصاح :

- يا للشيطان !

لحق به (ليفى) بعد لحظة واحدة ، كاد بعدها قلبه يتوقف

من شدة الصدمة ، وهو يحقّق بعينين ذاهلتين فى خزانته

المفتوحة الخالية ، وفى ذلك الجزء المحطم من الجدار

الأيسر للحجرة ، وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يقول

مختنفاً :

أجابته (أدهم) بلهجة مخيفة :

- افعل أيها المجنون الغبى ، وستخسر مجموعتك

النادرة إلى الأبد .. إسمعى جيّداً .. مجموعة عملاتك

مقابل زميلتى ، وسأمنحك عشر دقائق فحصب .. ولك

الخيار .

قالها وأنهى الاتصال دفعة واحدة ، فصرخ (ليفى) :

- سأقتلك .. سأقتلك .

ثم حثق فى ساعة الهاتف لحظة ، قبل أن يقول (دان)

متوتراً :

- ماذا فعل ؟

أجابته (ليفى) فى شبه انهيار :

- يقول إنه سرق عملاتى كلها .

خفق قلب (منى) مرة أخرى ، وأدركت أن (أدهم)

- كعاقبته - يلعب اللعبة من الجانب البعيد ، الذى لا يتوقعه

أحد ، ثم يضرب ضربه حيث لا يتوقعونه ، مهما بلغ

ذكاءهم ، أو بلغت حنكتهم ..

هكذا هو دائماً ..

الأنكى والأكثر مهارة ..

وعلى الرغم من قيودها وموقفها ، امتلأت نفسها

بشعور الأمن والأمان ، على عكس (دان) ، الذى هتف فى

مزيج من الدهشة والاستنكار :

- كيف ؟.. كيف فعل هذا ؟

أجابته (دان) في حلق، وهو يشير إلى الجزء المحطم من الحائط :

- لقد نسف صندوق التحكم الكهربى للحجرة، ففصل الخزائنة عن أجهزة الإنذار، وأمكنه بعدها فتحها فى سهولة ..

قال (ليفى) بصوت متحشرج، يغلب عليه انفعال جارف :

- نسفها؟!.. كيف ينسف خزائنة داخل السفارة، دون أن يشعر به أحد ؟
قال (دان) :

- إنه لم ينسف الخزائنة، بل نسف لوح التحكم الكهربى، ولم يكن هذا يحتاج إلى أكثر من مفجر بسيط، اختفى صوته حتماً، مع انفجار السيارة .
ثم عض شفته السفلى فى غيظ، قبل أن يستطرد :

- لقد لعب اللعبة بنكاء ودقة .
تصاعد الغضب، فى أعماق (ليفى) . مع عبارة (دان) الأخيرة، واحتقن وجهه فى شدة، ثم دق الحائط بقبضته، صائحاً :

- ولكنه لن يربح معركته .. سيدفع الثمن .. سيدفعه غالباً .



لحق به (ليفى) بعد لحظة واحدة، كاد بعدها قلبه يتوقف من شدة الصدمة، وهو يحلق بعينين ذاهبتين فى خزائنه المفتوحة الخالية ..

والتقى حاجباه على نحو مخيف ، وهو يستطرد في
ثورة :

- إنه يريد زميلته .. فليحصل عليها إذن .

وصرخ فجأة :

- ولكن جثة هامة .

وتفجر الغضب في أعماقه أكثر ، وأكثر ..

اندفع (ميخائيل ليفي) إلى قبو السفارة ، في غضب
واضح ، أطل من عينه اليعنى ، واختفى خلف تلك العصابة
السوداء ، التي تخفى عينه اليسرى ، وإن بدا شديد
الوضوح في صوته ، وهو يهتف بـ (منى) :

- زميلك هذا يتعمد إثارة غضبي .

قالت ساخرة :

- كم أحسده على هذا .

رمقها بنظرة محنقة ، في حين قال حارسه التشبيه
بالديناصورات ، في صوت خشن غليظ :

- هل أقطع أنفها ياسيدى السفير ؟

لوح (ليفي) بذراعه كلها ، هاتفا في حدة :

- اصمت أيها اللغبي .

ثم رمق (منى) بنظرة أخرى طويلة ، قبل أن يقول :

- هيا .. حل وثاقها .

حنق الرجل فيه بذهول ، وهرش رأسه في حيرة ، وهو
يقول :

- أحل وثاقها ؟! .. ولكن لماذا ياسيدى السفير ؟ أنت

نفسك قلت أن القيو هو أكثر الأماكن أمنا ، و ...

قاطعه (ليفي) في غضب :

- لا تتناقش .. نفذ أوامرى فحسب :

ارتجف الضخم ، وبدت ارتجافته أشبه بزلزال يجتاح
بناية هائلة ، قبل أن يندفع نحو (منى) ، هاتفا :

- بالطبع ياسيدى السفير .. بالطبع .

أسرع وحل وثاق (منى) ، التي تطلعت بدورها إلى

(ليفي) في حيرة ، ثم لزدردت لعابها ، وابتمتعت في

شحوب ، قائلة :

- هل أثار رفيقى خوفكم إلى هذا الحد ؟

قال (ليفي) في خشونة :

- اصمتي .

انتهى الضخم من حل وثاقها في سرعة ، واعتدل

قائلا :

- هل من أوامر أخرى أيها الرئيس .. أعنى ياسيدى

السفير ؟

جذب (ليفى) (منى) من ذراعها، وهو يقول :
 - انتظر هنا ، ولا تسمح لأى كائن كان بالدخول ، حتى
 تصلك أوامر أخرى منى .
 رفع الضخم يده بالتحية العسكرية ، قائلاً فى حزم :
 - كما تأمر يا سيدي السفير .
 دفع (ليفى) (منى) نحو باب القيو ، وهو يقول فى
 غلظة :
 - هيا .. تحركى .
 قالت فى حدة :
 - لو دفعتنى مرة أخرى سأقطع يدك هذه ، وستصبح
 صاحب عين واحدة ، ويد واحدة .
 صاح بها الضخم فى غضب :
 - لا تتحدثى مع سيادة السفير بهذا الأسلوب .
 قالت فى سخرية متعمدة :
 - لا تتدخل أنت أيها الديناصور الغبى .
 صاح الرجل فى ثورة :
 - لا أحد يصفنى بهذا .
 واندفع نحوها ، مستطرداً :
 - أنت تستحقين التأديب .
 صاح به (ليفى) فى صرامة :
 - توقف أيها الغبى .

ولكن لم يكن من الممكن أن يطيع الرجل هذا الأمر ..
 ليس لأن سرعة اندفاعه كانت أكبر من أن يتوقف
 بفتة ، ولكن لأن (منى) هى التى تحركت بسرعة مدهشة ،
 وقفزت بقدمها تضرب الضخم فى معدته ، على نحو
 مباغت عنيف ..
 كانت تستخدم نفس الأسلوب ، الذى يستخدمه (أدهم)
 عادة .. إثارة أعصاب الخصم ، ثم مباغتته بهجوم عنيف .
 ولكن المشكلة أنها لم تكن تمتلك القوة الكافية ،
 لاستخدام هذا الأسلوب بنجاح ..
 لقد أصابت ركبتها معدة الضخم تماماً ، وبكل ما تملك
 هى من قوة ..
 ولكنها لم تحقق نجاحاً ..
 لقد بدا لها وكأنها قد ركلت حائطاً من الصلب ،
 وتراجعت فى توتر ، عندما أطلق ذلك الحائط ضحكة
 عصبية غاضبة ، وصاح :
 - والآن حان دورى .
 صاح (ليفى) مرة أخرى :
 - لا تفعلها .
 ولكن قبضة العملاق كانت قد انطلقت بالفعل ، كقذيفة
 مدفع قوى ضخم ، وهوت كالقنبلة على الهدف ..
 على عنق (منى) .

٣- المفاجأة ..

اتسعت عيننا رئيس طاقم الحراسة بالمسفارة الإسرائيلية ، وهو يحق في الخزنة الخالية المفتوحة ، في حين هتف مساعده ذاهلا :

- ولكن كيف !؟.. كيف فعل هذا ؟

أجابه (دان) ، وهو يتحدث عبر الهاتف ، إلى قسم مراقبة الهاتف :

- لقد نسف صندوق التحكم في أجهزة الإنذار .

ثم تابع حديثه مع رجال قسم مراقبة الهاتف ، قائلا :

- نعم يا (بنيامين) .. لقد تلقى السيد السفير مكالمتين في القبو .. الأولى كانت من السفير الأمريكي ، ولكن من أين أنت الثانية ؟.. وكيف عرف صاحبها الرقم السري لهاتف القبو ؟

صمت ليمنح (بنيامين) هذا فرصة البحث عن الأجوبة ، في حين قال رئيس الأمن في توتر :

- لقد استنتجنا فكرة التسف هذه ، ولكننا صعدنا أنا ومعاوني إلى هنا ، فأخبرنا السيد السفير أن كل شيء على مايرام ، وطلب منا العودة إلى أماكننا ، و ...

قاطعه (ميخائيل ليفي) هاتفا :

- أنا !؟.. أنا أخبركما ماذا !؟

ارتبك الرئيس ومساعد ، وتبادلا نظرة حائرة ، قبل أن يقول المساعد في قلق وتوتر :

- لقد أخبرتنا أن كل شيء على مايرام ياسيدى ، و ... قاطعه (ليفي) في حدة :

- أى عبث هذا يا رجل .. إتنى لم أركما سوى الآن . اتسعت عيون الرجلين في دهشة بالغة ، وتبادلا مرة أخرى نظرة حائرة متوترة ، في نفس اللحظة التي هتف فيها (دان) :

- ماذا ؟.. ماذا تقول ؟.. أنت واثق يا (بنيامين) !؟ التفت إليه الجميع في قلق ، ورأوه يعيد سماعه الهاتف إلى موضعها ، وقد اعتلى وجهه شحوب عجيب ، وهو يقول :

- مستحيل !.. لا ريب أن (بنيامين) قد أخطأ ، أو ... قاطعه السفير في توتر عصبي شديد :

- ما الذى أخبرك به (بنيامين) ؟

أجابه (دان) في دهشة واضحة :

إنه يؤكد أن المحادثة الهاتفية الثانية جاءت من هنا .. من حجرة مكتب ياسيدى السفير .

انتقل الشحوب إلى وجه (ليفى) ، وهو يرئد :
- (أدهم صبرى) .. إنه (أدهم صبرى) .

ثم اعتدل فجأة ، وصاح فى غضب :
- وأنا أعرف بالضبط أين هو الآن .
واتطلق يعدو نحو المكان ، الذى يتوقع وجود (أدهم) فيه ..

نحو القبو ..

هوت قبضة حارس (ليفى) الضخم على وجه (منى) كالقنبلة ، وكانت كفيلة بتحطيم كل عظمة من عظام جمجمتها ..
لولا ما حدث ..

لقد ارتطمت قبضة الحارس فجأة بقبضة أخرى كالصخر ، حالت بينها وبين وجه (منى) ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول :

- لا يمكننى أن أسمح لك بهذا أبها الوغد .
تفجرت دهشة لا حدود لها ، فى عقلى (منى) والحارس الضخم ، وحنق الاثنان فى ذلك الواقف أمامهما فى ذهول ، قبل أن تهتف (منى) :
- أهو أنت ؟

أجابها (أدهم) ، من خلف قناع (ميخائيل ليفى) الذى يرتديه :

- نعم يا عزيزتى .. هو أنا .

حنق الحارس فى وجهه بذهول لحظة أخرى ، قبل أن تنفجر يده إلى مسنمه الضخم ، وهو يهتف :
- يا للشيطان !! إنك لست الرئيس .

كانت قبضة (أدهم) أكثر سرعة ، وهى تنقض على فكه كالقنبلة ، و (أدهم) يقول فى سخرية :
- ألم تدرك هذا سوى الآن ؟

ارتطمت قبضة (أدهم) بفك الحارس ، وسمعت (منى) لارتطامها فرقعة مخيفة ، وتصورت أن وجه الحارس سينشطر إلى قسمين ، إلا أن شبيه الديناصور هذا اكتفى بإطلاق خوار كالنور ، وانتزع مسنمه بالفعل ، وهو يصرخ غاضباً ومتألفاً :
- ستدفع حياتك ثمناً لهذا .

ركل (أدهم) المسدس ، بكل ما يملك من قوة ، فاطاح به من يد الحارس ، ثم دار حول نفسه فى حركة رشيقة ، وارتفعت قدمه الأخرى لتضرب آف الحارس ، وهو يقول :
- لا داعى للأسلحة أبها الوغد ، إننى أفضل القتال بالأيدي .

والسرعة، من حركات رياضة الجودو(*)، ويلقى به أرضاً بقوة وعنف ..

وحاول الحارس النهوض، ولكن قبضتى (أدهم) أصابتا فكه وأتفه وجبهته، فى تتابع مدهش، ثم دار (أدهم) حول نفسه كمروحة كبيرة، وهوت قدماء على وجه الرجل عدة مرات متتابة، فى ضربات شديدة القوة والعنف ..

ولم يكن من الممكن أن يحتمل الرجل كل هذا .. فسقط ..

سقط الديناصور فاقد الوعي، عند قدمى (أدهم)، فهتفت (منى) فى حرارة :
- (أدهم) .. كنت أعلم أنك ستظهر فى الوقت المناسب، و ...

لم يمهلها لتتم عبارتها، وإنما جذبها من يدها، قائلاً :
- هيا بنا .

(*) الجودو : نوع من المصارعة البدوية، نشأ فى (اليابان)، ويعتبر برنامجاً أساسياً فى تدريبات رجال الدفاع والشرطة، ويتم تدريسه لكل طلاب المرحلة الثانوية فى (اليابان)، وهذه الرياضة لا تتطلب قوة عضلية كبيرة، بل تعتمد على تطبيق الأسس التشريحية للجسم، لتساعد صاحبها على مقاومة خصم مسلح، أو أكبر منه حجفاً .

تحطم أنف الحارس، وسالت منه الدماء غزيرة، ولكن الحارس لم يبال بنهر الدم المتدفق من أنفه، وهو ينقض على (أدهم) بخفة عجيبة، لا تتناسب أبداً مع حجمه البالغ الضخامة، ويحيط عنقه بمساعدة الضخم، هاتفاً بصوته الخشن الجاف :
- فليكن .. المهم أن تجيده .

لم تتر (منى) فيما بعد، لماذا وقفت جامدة، تراقب القتال، دون أن تحاول - مجرد محاولة - أن تتدخل فيه، أو تعاون (أدهم) عليه ؟!

ربما لأنها رأت أن (أدهم) يمتلك المقدرة الكافية على القتال، دون معاونة أحد، حتى ولو كان خصمه شبيهاً بالديناصور ..

أو لأنها لم تجد الوقت للتدخل ..

لقد تحرك (أدهم) بسرعة أدهشتها، وهى التى اعتادت رؤيته يعمل، وأذهلت الحارس الضخم، الذى رأى قبضة (أدهم) ترتفع وتدور إلى الخلف، ثم تلكمه لكمة كالصاعقة بين عينيه، ثم شعر بأصابع (أدهم) تنغرس فى مؤخرة عنقه، قبل أن يميل (أدهم) إلى الأمام، ثم يحمل ذلك الثور بقوة خرافية، ويحركه شديدة المرونة

تبعته فى خطوات سريعة ، وهو يصعد فى درجات
المسلم ، حتى بلغ باب القبو ، حيث يقف الحراس الخمسة ،
فقال مستعيذا صوت السفير بكل دقة ومهارة :
- لا تغادروا هذا الموقع .. سأبعد تلك الجاسوسة عن
هنا وأعود إليكم .

أجابهم قائدهم فى حسم :
- كما تأمر يا سيدي السفير .
دفع (منى) نحو سيارة السفير (المرسيدس) ، وهو
يقول فى خشونة ، منتحلاً شخصية (ليلى) :
- هيا .. تحركى بسرعة .
دفعها داخل السيارة ، ودار حولها ليحتل مقعد القيادة ،
عندما ارتفع صوت بصرخ :
- أوقفوه .. إنه زائف .
وأصيب الحراس الخمسة بدهشة ليس من السهل
وصفها ..
لقد كان صاحب الصوت ، والذى يعدو متجها إليهم من
بعيد ، هو نفسه ذلك الذى يقفز إلى (المرسيدس) ..
كان (ليلى) ..
(ميخائيل ليلى) ..



وحاول الحارس النهوض ، ولكن قبضتى (أنهم) أصابته
فكه وألقه وجهته ..

أى قرار تتخذ لو أنك فى موضع هؤلاء الحراس الخمسة ؟..

إنهم يرون أمامهم رجلين ، كل منهما هو نسخة طبق الأصل من الآخر ، فى شكله وصوته ، وأحدهما يتهم الآخر بأنه زائف ، فى حين أن أحدهما أيضا .. وحتما .. هو سفيرهم ورئيسهم ..
فماذا يفعلون ؟..

الواقع أنهم ، وعلى الرغم من التدريبات الدقيقة والشاقة ، التى تلقوها بصورة مكثفة ، قبل أن يسند إليهم عملهم هذا ، لم يحركوا ساكنا ، وقد بلغ منهم الذهول مبلغه ، وزاد (أدهم) من ارتباكهم وحيرتهم وتوترهم ، وهو يهتف بنوره :
- من هذا ؟.. ألقوا القبض عليه .. إنه شخص ينتحل شخصيتى .

صرخ (ليفى) فى جنون :

- بل هو الزائف .. إنه يحاول تهريب الأسيرة .

وانتقل الذهول من الحراس الخمسة إلى باقى رجال الحراسة ، المنتشرين فى حديقة السفارة ، وإلى جيش الصحفيين ، الذين سطعت مصابيح آلات التصوير التى يحملونها ، وهم يلتقطون عشرات الصور للسفير وشبيهه ..

ولكن الحراس الخمسة حسموا أمرهم فى سرعة ..
لقد أقتنعهم قول (ليفى) إن الزائف يحاول تهريب الأسيرة ، فأداروا فوهات مدافعهم الآلية نحو (أدهم) ، و (ليفى) يصرخ بهم :
- اقتلوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

وزاد من اقتناعهم ظهور (دان) ، الذى صاح بدوره :
- اقتلوا ذلك الزائف ، قبل أن يهرب مع الأسيرة .
سطعت مصابيح التصوير مرة أخرى ، فى حين وثب (أدهم) داخل سيارة السفير ، وانهارت عليه رصاصات المدافع الآلية الخمسة بلا رحمة أو هوادة ..

وهنا شعر (ليفى) الحقيقى بقدر من السخط والمرارة والحنق والغضب ، لم يشعر به فى حياته كلها ، لأن السيارة التى انطلق بها (أدهم) كانت مصفحة ..

شعر بكل هذا عندما ارتطم سيل الرصاصات بجسم (المرسيدس) السوداء ، ثم ارتد عنه فى عصف ، و (أدهم) يدير المحرك ، ويطلق ضحكة ساخرة عالية ، مزقت ما تبقى من أعماق (ليفى) ، والسيارة تنطلق نحو بوابة السفارة ..

وانطلق الصحفيون يعدون يمنا ويسرة ، ويبتعدون عن السيارة ، التى أمطرها حراس البوابة بسيل آخر من

الرصاصات ، أصاب جسمها ، وارتد عنه بالكيفية نفسها .
قبل أن تتجاوزهم السيارة ، وترتطم بالبوابة بكل قوتها ،
وتنتزعها من موضعها ، ثم تنقلب فوق بقاياها ، وتتطلق
مبتعدة عن السفارة الإسرائيلية ، وعدسات آلات التصوير
تتابعها في لهفة ، وضحكة (أدهم) الساخرة تتبع منها
عالية مجلجلة ، تثير السخط والمرارة والغضب في نفوس
أعدائه ..

وهتفت (منى) مشدوهة :

- لقد فعلتها .. لقد فعلتها يا (أدهم) .

أجابها مبتسما :

- إني أفعل المستحيل بإذن الله ، من أجلك يا (منى) .

ارتفع حاجباها في حنان وحب ، وهي تهمس :

- أعلم هذا يا (أدهم) .. أعلم هذا ..

تدفقت في أعماقها عاطفة جياشة ، وتمت لو أراحت
رأسها على كتفه ، وأسبلت جفניה ، و ...

وفجأة ضغط (أدهم) فرامل السيارة ، وهو يقول :

- استعدى .

أوقف السيارة إلى جانب الطريق ، وعاونها على

مغادرتها في سرعة ، وهي تسأله في قلق :

- سيلحقون بنا بسرعة ، لو توقفنا الآن .

قال وهو يجذبها من يدها ، ويسرع بها نحو مبنى
قريب :

- اطمئنى .. لن يفعلوا بإذن الله .

لم تكن تترك مايعنيه ، ولكنها لم تشعر بالقلق بعد
عبارته ..

لقد أولته منذ زمن طويل كل ثقتها ..

وكل حبها ..

وهذا يكفى ..

الذين رأوا (ميخائيل ليفي) ، في الصباح التالي ، أكدوا
فيما بعد أنه كان صورة مجسمة للخرى ، والغيب ،
والحنق ، والمرارة ، والإحباط ، والغضب ، وهو يتحدث
- للمرة السابعة - إلى السفير الأمريكي في (البرازيل) ،
قائلا :

- لا يأسادة السفير .. أوكد لك أننا لا نحتاج إلى هذا ..
لا يأسادة السفير .. الواقع أنه .. حسن .. حسن .. حسن يأسادة
السفير .. سنستقبل ذلك الرجل ، مانتم تصرون على
هذا .

وأنهى الاتصال في عنف ، ثم قال في حلق عصبى :

- اللعنة على هؤلاء الأمريكيين .. إنهم يصرون على

إرسال أحد رجال مخابراتهم إلى هنا ، لمعاونتنا على إصلاح ما حدث .

غمغم (دان) :

- ربما كان هذا أفضل .

صاح (ليفى) مستكزاً :

- أفضل ؟!.. ماذا تقول يا (دان) ؟!.. أمن الأفضل أن

يتدخل الأمريكيون فى عملنا ؟

هز (دان) رأسه نفياً وقال :

- بل من الأفضل أن ينضموا إلينا ، بكل قوتهم

وإمكاناتهم ؛ ليتمكنوا اصطيد ذلك الشيطان وزميلته .

ضرب (ليفى) سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً فى غيظ :

- إتنى مستعد لدفع نصف حياتى ، ثمناً للإيقاع بـ (أدهم

صبرى) هذا .

التقى حاجباً (دان) ، وهو يقول :

- أما زلت تصرّ على أن شريماً هو (أدهم صبرى)

ياسيدى السفير ، على الرغم من أن كل الأوراق الرسمية

تؤكد أنه ..

قاطعه (ليفى) فى حدة :

- كلا .. إنه لم يلق مصرعه .. أراهن بحياتى كلها على

هذا ، فلا يوجد شخص آخر ، فى العالم كله ، يمتلك تلك

القدرة المذهلة على التكرار ، وانتحال شخصيات الغير

سواء .. إنه هو حقاً ، حتى ولو أكدت كل أوراق الدنيا عكس هذا .

هز (دان) كتفيه مستسلماً ، وقال :

- فليكن .. ألدبك خطة محدودة لاصطياده ؟

فرك (ليفى) كفيه فى عصبية ، وقال :

- إنه لم يبتعد كثيراً .. لقد طارده رجالنا فور هروبه

من هنا ، وعثروا على السيارة المصفحة ، ثم حاصروا

المنطقة ، فلم يعثروا له ولا لزميلته على أدنى أثر .

سأله (دان) فى اهتمام :

- وما تفسيرك لهذا ؟!

كزر (ليفى) فى سخط غاضب :

- إنه لم يبتعد كثيراً .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى النافذة المطلة

على الحديقة . وصمت بضعة لحظات ، قبل أن يتابع :

- لقد سرق ذلك الشيطان كل مجموعات العملات

الأثرية النادرة ، التى جمعتها طيلة عمرى ، وهى تساوى

ثروة هائلة ، لا يمكننى تصور مجرد فكرة فقدانها ، وسأفعل

أى شئ فى الدنيا لاستعادتها ، حتى ولو تحالفت مع

الشيطان نفسه .

أفقت هذه العبارة (دان) ، وهم بقول شئ ما ، عندما

دق باب حجرة مكتب (ليفى) . فقال هذا الأخير فى
سرعة ، وهو يلتفت إلى الباب :
- انخل .

دلف إلى الحجرة أحد رجال الأمن ، وقال :
- هناك أمريكى يرغب فى مقابلتك يا سيدى السفير ،
ويقول إنه قادم من السفارة الأمريكية .

اعتدل (ليفى) ، وهو يقول :

- دعه يدخل على الفور .

مضت لحظات ، تعلقت خلالها عيون (ليفى) و (دان)
بالباب . قبل أن يعبره رجل بالغ الوسامة ، متين البنیان ،
يرتدى حلة سوداء أنيقة ، تتأقضت بشدة مع شعره الذهبى
وعينييه الزرقاوين ، ولقد اتجه نحو (ليفى) مباشرة ، ومذ
يده بصافحه ، قائلا بصوت قوى هادئ :
- (برونو كيلرمان) .. من المخابرات المركزية
الأمريكية .

وعندما صافحه (ليفى) ، وشعر بقبضته للقوية تحيط
بأصابعه ، أدرك على الفور أنه قد حظى برقيق قوى ،
يصلح بالفعل لمواجهة (أدهم صبرى) والإيقاع به ، و ..
وسحقه سحقاً .

★ ★ ★

٤ - الجولة الثانية ..

ر

لم تدر (منى) ، عندما استيقظت فى الصباح التالى ،
كيف أمكنها أن تتعم بنوم هادئ عميق كهذا ، طوال سبع
ساعات كاملة ، بعد كل ما مرت به ليلة أمس ، ولكنها لم تكد
تغادر حجرة نومها ، إلى ردهة ذلك المنزل الأنيق ، الذى
استأجره (أدهم) ، بالقرب من السفارة الإسرائيلية ، حتى
عرفت الجواب على الفور ..

لقد رأت (أدهم) جالساً أمام منصدة صغيرة بالردهة ،
ومنهمكاً فى العناية بمسندسه ..
وكان هذا هو الجواب ..

لقد نامت ملء جفنيها ، لأنها تحت حمايته ..
تحت حماية الرجل الذى تحبه ، والذى لم تر مثيلاً له فى
عمرها كله ..

هذا وحده كان كافياً ، لتمتلى نفسها بالأمن والأمان .
حتى ولو كانت كل شياطين الدنيا تطاردها ..
ولقد شعر (أدهم) بها ، فرفع رأسه عن مسدسه ،
والتفت إليها مبتسماً ، وقال :
- صباح الخير يا أميرتى .

ابتسمت في سعادة ، وهي تقول :
 - صباح الخير يا (أدم) .
 كم تمننت لحظتها لو أنها زوجته ..
 ولو أنهما في منزلهما ..
 واحتفظت بأمنيتهما هذه في أعماقها ، وهي تسأله :
 - هل استيقظت مبكراً ؟
 أوما برأسه إيجاباً ، وقال :
 - نعم .. استيقظت في تمام السادسة ، وأديت صلاة
 الصبح ، وانتظرت لتناول طعام الإفطار معاً .
 مرة أخرى تفجرت في أعماقها تلك الأمنية ، فقاومتها
 وهي تقول :
 - سأعده بنفسى .
 لم تستغرق وقتاً في إعداد طعام الإفطار ، وتناولاه معاً
 في هدوء ، وكأنهما لا يحملان أية هموم أو مشكلات ، ثم
 سألته (منى) :
 - والان ماذا ؟
 استرخى في مقعده ، وأعاد مسدسه إلى جيبه ، وهو
 يقول :
 - ماذا ماذا ؟
 ابتسمت لطرافة السؤال ، وقالت :



ولقد شعر (أدم) بها ، فرفع رأسه عن مسدسه ، والتفت إليها
 - صباح الخير يا أميرتى ..
 مبتسماً ، وقال :

ماذا سنفعل ، بعد أن نجحنا في الفرار من قبضة
السطاح ؟

مط شفتيه في استرخاء ، وقال :

- سنواصل اللعبة بالتأكد ، فالهدف لم يتحقق بعد .
قالت :

- كيف سنواصلها ؟ .. هذا هو السؤال ..
اعتدل قائلاً :

- لقد حققت غارة الأمس هدفين رائعين ، في سبيل
نجاح الهدف ، الذي نسعى إليه ؛ فقد أنقذتك من قبضة هذا
الوغد ، ونجحت في الحصول على كل مجموعة العملات
الأثرية الخاصة به ، وسيثير هذا جنونه حتماً .
قالت في اهتمام :

- وأنت تتوى استغلال هذا .. أليس كذلك ؟
ابتسم قائلاً في اقتضاب :

- بالتأكيد .

تنهدت قائلة :

- يبدو أنك لا تعرف (ميخائيل ليفي) جيداً .. صحيح
أنك سرقت أكبر شيء في حياته كلها ، ولكنه لن يسقط
بسببه .

قال مبتسماً في غموض :

- ربما أمكننا مساومته .

هزت رأسها نفياً ، وقالت :

- لن يخون دولته قط ، حتى من أجل عملاته الأثرية .

هز (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

- ليس المهم أن يفعل .

سألته :

- ما المهم إذن ؟

بدت لها ابتسامته شديدة الغموض ، وهو يقول :

- أن تبدو الفكرة منطقية ..

واتسعت ابتسامته أكثر ..

وحملت المزيد من الغموض .

والمزيد .

والمزيد ..

استمع رجل المخابرات الأمريكي (برونو) بكل
اهتمام ، إلى (ميخائيل ليفي) ، وهو يقص عليه أدق
التفاصيل ، لكل ما حدث ليلة أمس ، ثم قال في هدوء
عجيب :

- رائع .. ما زالت الخيوط بين أصابعنا إذن .

تطلع إليه (دان) في دهشة ، وقال :

- ما زالت بين أصابعنا ؟!

ابتسم (برونو)، على نحو يشق عن زهوه وثقلته،
وهو يجيب :

- بالطبع .. من حيث ننظر نحن إليها .. صحيح أننا
نتعاون مع جهاز مخابراتكم (الموساد)، منذ أمد طويل
يا مستر (ليفي)، ولكن جهاز مخابراتنا يتفوق عليه كثيرًا
بالتأكيد، فنحن عادة أقدر على فهم وإدراك حقائق
الأمور، وأكثر سرعة في تحديد الأهداف وتنفيذ
القرارات، ونمتلك التكنولوجيا الكافية لـ ...
قاطعته (ليفي) في خشونة :

- هل سنتسمع إلى هذه المحاضرة طويلًا ؟
رمقه (برونو) بنظرة مستهترة، وقال :
- لا أيها السفير .. لا داعي لأن تستمع لمحاضراتنا .
ثم اعتدل مستطردًا في حسم :

- لقد بلغتنا أخبار ماحدث هنا، فاجتمعت لجنة من
الخبراء داخل سفارتنا، ودرست الأمر في سرعة،
وتوقعت نجاح المهاجم في الفرار، واستعانته للأسيرة،
مع حالة التخبط والارتباك التي سادت السفارة ورجال
أمنها، بعد اقتحامه لها، وعلى الفور قمنا بمحاصرة
المنطقة، التي تقع داخلها السفارة، بواسطة خمس فرق
من رجالنا المدربين المحترفين، لمنع ذلك المقترح من
الفرار .

وتراجع في مقعده مرة أخرى، وعلى شفثيه ابتسامة
شبه ساخرة، متابعًا :

- وحدث ما توقعه الخبراء تمامًا .. لقد هرب منكم
الرجل، واستعاد زمويلته .
بدا الضيق على وجه (دان)، وقال (ليفي) في غلظة
عصبية :

- أنت تعلم أننا لا نواجه خصمًا عاديًا .
لوح (برونو) بكفه، وهو يقول وكأنه يضحك :
- لا .. لا تقل لي مرة أخرى : إنه (أدهم صبرى) ..
لقد لقي هذا المصري الأسطوري مصرعه في
(المكسيك)، منذ أكثر من عامين، وهذا ثابت في ملفات
الكمبيوتر لدينا .

أجابته (ليفي) في حدة :
- ربما كشفتم فجأة أن أجهزة الكمبيوتر هذه ليست أقل
غباء منكم .

تكهرب الجو على الفور، وانعقد جاجيا (برونو) في
حدة وغضب، وارتبك (دان) لحظة، ثم أسرع يقول :
- فليكن .. لن نناقش الآن شخصية خصمنا، ولكن
أخبرنا يا مستر (برونو)، ماذا يمكنكم فعله، بعد أن نجح
بالفعل في الفرار ؟

قال (برونو) فى صرامة :

- الكثير .

وصمت لحظة ليتمالك نفسه ، ثم حاول أن يسترخى

ثانية فى مقعده ، وهو يقول :

- إننا مازلنا نحاصر المنطقة ، ثم اتنا أعدنا كشفًا

بأرقام وعناوين كل الشقق والمنازل ، التى استأجرها

غرباء ، فى الأسبوع الماضى بالمنطقة ، ومادام ذلك

المجهول وزميلته قد اختفيا وتركنا السيارة ، فهذا يعنى

أنهما يستأجران شقة فى مكان ما ، بالقرب من السفارة

الإسرائيلية .

وعادت اهتمامه الزهو والثقة إلى شفتيه ، وهو

يستطرد فى هدوء :

- ويعنى أيضًا أنه لن يمضى وقت طويل ، حتى يسقطان

معا فى قبضتنا ، وعندئذ لن يكون علينا سوى أن ..

بتر عبارته ، ومدّ قبضته أمام عيني الرجلين ، ثم ضمها

فى قوة ، مردفًا :

- نسحقهما .

واتسعت ابتسامته ..

★ ★ ★

استسلمت (منى) تمامًا لأصابع (أدهم) الماهرة ، وهو

يضيف إلى وجهها بضع لمسات بسيطة متقنة ، راحت تبدل

من ملامحها تمامًا ، فى سرعة ودقة ، وتطلعت إلى وجهها

فى المرأة مشدوهة ، وقالت :

- كيف تفلح هذا ؟

كانت صورتها فى المرأة تبدو شبيهة بالآسيويات ،

ببشرتها الصفراء ، وشعرها الأسود الناعم ، المعقوص

خلف رأسها ، وعينيها المسحوبتين إلى أعلى ، وكان من

المستحيل تمييزها من شخصيتها الحقيقية ، أو من

(اليزابيث وينستون) ، وعلى الرغم من هذا فقد غمغم

(أدهم) :

- إنه أمر بسيط يا عزيزتى .

هتكت فى دهشة :

- بسيط ؟!

اعتدل بلقى نظرة أخيرة على وجهها ، ثم ابتسم قائلاً :

- نعم .. عندما تألفينه ، وأنت بعد فى العاشرة من

عمرك .

أومأت برأسها ، مخففة :

- كثيرًا ما أتى هذا .

ثم نهضت تلقى نظرة أخرى على وجهها فى المرأة ،

وتحسنت ملامحها الجديدة فى دهشة ، قبل أن تتابع :

- وعلى الرغم من هذا فستظل مهارتك فى هذا المجال
تبهرنى طويلاً .
ابتهم متممًا :
- أشكرك .

ثم اعتدل مستطرذا فى جدية :
- والآن استمعى إلى جيداً .. منذ هذه اللحظة ستتخذ
اللعبة مساراً جديداً ، فلقد انعكست الأدوار ، ولم نعد نحن
نسعى خلف (ليفى) ، بل صار هو الذى يسعى خلفنا ،
لاستعادة عجلاته الأثرية ، والثأر لما فعلناه به ، وهذا يعنى
- فى كل القواميس - أن علينا أن نتخذ دور الدفاع .
وعادت الابتسامة إلى شفتيه ، وهو يتابع :
- ولكننا سنتبع قاعدة (نابليون بوناپرت) .. الهجوم
خير وسيلة للدفاع .
سألته فى اهتمام :
- كيف ؟!

ثم بشرح مألديه ، عندما ارتفع رنين جرس الباب
فجأة ، فالتقى حاجباه ، وهو يلتفت إلى الباب ، فى حين
همست (منى) فى قلبى :
- نرى من يأتى ، فى مثل هذه الساعة ؟
لم يكن (أدهم) يخفى ملامحه فى هذه اللحظة ، لذا فقد
التفت مستسهه ، وناولته إلى (منى) ، وهو يقول فى حزم :

- سنرى من هو .. هيا .. أخفى هذا المسمس خلف
ظهرك ، وانظرى من الطارق .
التقطت المسمس ، وأخفته خلف ظهرها ، واتجهت نحو
الباب ، وقلبها يخفق فى قوة ، وقالت بلهجة آسيوية :
- من الطارق ؟

أجابها صوت متوتر :
- المفتش (لوبيز) ، من الشرطة المحلية .
ارتفع حاجباهما فى دهشة ، فى حين التقى حاجبا
(أدهم) ، وأشار إليها بفتح الباب ، وهو يختبئ داخل
حجرة جانبية ، فالتقطت هى نفساً عميقاً ، وفتحت الباب ،
ليطالعها وجه المفتش البرازيلى الفاسد ، وقد أحاطت
الضمادات بأنفه وفكه ، وبدا وجهه أكثر قبحاً ، بعد أن فقد
عدداً من أسنانه الأمامية ، فى حين تغطت يده اليمنى ، من
الأصابع وحتى منتصف الساعد بغلاف من الجبس
السميك ..

كان يبدو فى حالة مزرية بالفعل ، فيما عدا جزءاً واحداً
من وجهه ..
عيناه ..

كانتا تبرقان على النحو نفسه ، الذى رأتهما (منى) عليه
لأول مرة ، وهو يتفحص بهما وجهها فى دقة وتمعن ، جعلها
تشعر بشيء من الارتباك ، وهى تقول بلهجتها الآسيوية :

قالها وانصرف في سرعة عجيبة ، حتى أن عينيها
اتسعتا في دهشة ، وهي تغلق الباب خلفه ، وتلتفت إلى
(أدهم) ، الذي غادر حجرته ، وبدت على وجهه أمارات
القلق بدوره ، في حين غمغت هي :
- ما الذي كان يريده بالضبط ؟
قال (أدهم) في حذر :
- من المؤكد أنه لم يأت للامتنع .
سألته :
- أنتظنه تفتيشنا روتينيا كما يقول ؟
هز رأسه نفيا ، وأجاب :
- كلا .. إنه لم يحاول حتى الاطلاع على أية أوراق .
قالت في توتر :
- ولكن من المستحيل أن يكون قد تعرفنى .. لقد أبدلت
ملامحي تماما .
التقى حاجباه ، وهو يقول :
- من يدري يا عزيزتى ؟ من يدري ؟
وكان صوته يحمل نبرة خاصة ..
نبرة قلق ..

- ماذا تريد منى بالضبط أيها المفتش ؟
أدار عينيها في ردة المنزل بسرعة ، ثم عاد بصره
يستقر على وجهها ، قبل أن يقول :
- لاشيء يا سيدي .. إنه مجرد تفتيش روتيني ، على
الشقق التي يستأجرها الأجانب .. هذه الشقة مستأجرة
باسم سنيور (أميجو صاندو) .. أليس كذلك ؟
أجابته في تماسك :
- بلى .. ولكن سنيور (أميجو) ليس هنا الآن .. لقد
خرج ..
قاطعها بابتسامة غامضة مقلقة :
- هذا حقه يا سنيوريتا .
ثم سألها بغتة :
- أنتت زوجته ؟
أجابته في سرعة :
- بل خادمته .
رفع حاجبيه لحظة ، ثم عاد بخفضهما ، قائلا في خبث :
- أوه .. من الواضح أن سنيور (أميجو) يجيد اختيار
معاونيه .
ثم اتحنى على نحو مبالغ ، مستطرذا :
- حسن يا سنيوريتا .. أبلغى سنيور (أميجو)
تحياتي .. إلى اللقاء .

لم يتوقف (ميخائيل ليفي) ، خلال ساعة كاملة ، عن قطع حجرته جينة ونهاها ، وهو يزفر في عصبية ، ويعتد حاجبيه في حلق متوتر ..

أو هو توقف بضع لحظات ، لو شئنا الدقة ..
في كل لحظة منها كان يتطلع إلى خزائنه الخاوية ، أو صندوق الكهرباء المحطم ، ثم يعاود السير ، وهو يهتف :
- اللعنة !

وطوال هذه الساعة ظل (دان) صامتا ، يتطلع إلى رئيسه في قلق ، دون أن ينهمس ببنت شفة ..
وأخيرا جرو (دان) على الكلام ، ففتح قائلًا :
- أنتظنه بنجح ؟

توقف (ليفي) بفتة ، والتفت إليه بنظرة نارية ، وهو يقول في عصبية :
- من تقصد ؟

ازدرد (دان) لعابه ، وأجاب :
- (برونو) .. رجل المخابرات الأمريكية .. أنتظنه بنجح في العثور على ذلك الشيطان وزميلته ؟
لوح (ليفي) بذراعه ، قائلًا :

- هراء .. هؤلاء الأمريكيون يجيدون الحديث فحسب .

قال (دان) :

- ولكنه يبدو شديد الثقة :

مط (ليفي) شففيه ، قائلًا :

- إنه شاب صغير ، لم يخبر الحياة بعد ، وهو يتصور أن مجرد انتمائه إلى جهاز المخابرات الأمريكي يجعله عبقريًا .

هز (دان) كتفيه ، دون أن يجيب ، في حين أشعل (ليفي) سيجارته في عصبية ، وقال متابعًا :

- إنني أحتمل كل سخافات ، حتى يعثر على خصمنا ، ولكنني لن أسمح له بعدها بالإيقاع به ، بل سأقتنصه بنفسى ، وأعتصره في قبضتى .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى سمع دقات على باب حجرته ، فالتفت إلى الباب في حدة ، وقال في صوت منغل :
- ادخل .

دفع (برونو) الباب ، ودلف إلى الحجرة في هدوء ، وهو يقول :

- هل من أخبار جديدة ؟

أجابه (ليفي) في عصبية :

- المفروض أن ألقى أنا عليك هذا السؤال .

ابتسم (برونو) في خبث ساخر ، وهو يقول :

- ولكننى أنتظر الأخبار الجديدة عبر هاتفك السرى الخاص .

ازداد اعتقاد حاجبى (ليفى) ، وهو يقول فى حدة :

- أنتوقع أن يبهرنى هذا ؟

هز (برونو) كتفيه ، وقال بنفس الابتسامة المثيرة :

- لماذا ؟.. إننا نعرف رقم الهاتف السرى منذ زمن

طويل .

شعر (دان) بالقلق ، وبدأ له لحظة أن السفير سينفجر

فى وجه (برونو) ، لولا أن ارتفع رنين الهاتف السرى ،

فى اللحظة نفسها ، فاندفع (برونو) نحوه ، والتقط

سأعته بحركة سريعة رشيقة ، وقال :

- (برونو كيلرمان) .. من المتحدث ؟

سمع من الجانب الآخر صوت (لوبيز) ، وهو يقول :

- أنا المفتش (لوبيز) ياسنيور (برونو) .

برقت عينا (برونو) ، وهو يخفى بوق سماعه الهاتف

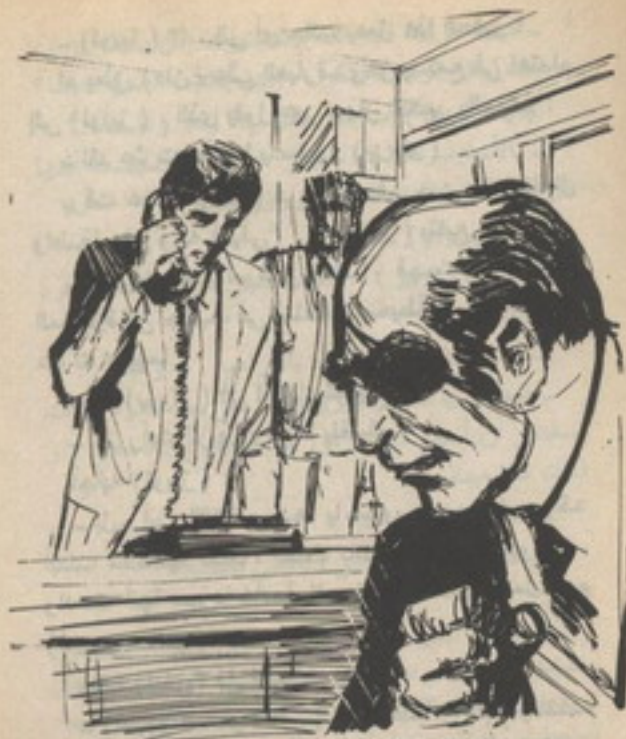
بيده ، ويقول لـ (ليفى) و (دان) :

- إنه المفتش (لوبيز) .. هناك أخبار جديدة حتمًا .

وضغط الزر الخاص بتكبير الصوت ، حتى يتمكن

(دان) و (ليفى) من متابعة حديثه مع (لوبيز) ، فى

حين قال (ليفى) فى سخط :



وبدا له لحظة أن السفير سينفجر فى وجه (برونو) ، لولا أن
ارتفع رنين الهاتف السرى ..

- (لوبيز) ؟!.. إلى أى جانب يعمل هذا الحقيق ؟
 لم يعلق (دان) على العبارة ، وهو يستمع فى اهتمام
 إلى (لوبيز) ، الذى يقول عبر جهاز التكبير بالهاتف :
 - لقد عثرت عليهما ياسنيور (برونو) .
 برقت عينا (برونو) فى ظفر ، فى حين بدا الالتفال
 واضحا على وجه (ليفى) ، و (لوبيز) يتابع :
 - تصرفت كما أمرتسى تماما ، فجيت كل الشقى
 المؤجرة إلى أجاتب ، فى المنطقة المحيطة بالسفارة ، حتى
 عثرت عليهما .

سأله (برونو) فى اهتمام شديد :
 - هل رأيت الرجل والفتاة بنفسك ؟
 أجابه (لوبيز) :

- بل رأيت الفتاة وحدها ياسنيور (برونو) ، ولقد
 أبملت ملامحها تماما ، بحيث باتت أشبه بالآسيويات ،
 وادعت أنها مجرد خادمة للمستأجر ، الذى يحمل اسم
 (أميجو صاندو) .

هتف (ليفى) فى اتفعال :
 - (أميجو صاندو) ؟!.. إنه هو حتما .. دائما يستخدم
 اسمين يبدآن بالأحرف الأولى لاسمه .. إنه هو ولا شك .
 أشار إليه (برونو) بالصمت ، وهو يسأل (لوبيز) :

- كيف عرفت أنها الفتاة المنشودة إذن يا (لوبيز) ،
 ما دمت لم تر الرجل ، وتقول : إنها أبملت ملامحها تماما ؟
 أجابه (لوبيز) بصوت يحمل رنة زهو واضحة :
 - بالأسلوب القديم ياسنيور .. لقد حفظت بصمة أذنها
 عن ظهر قلب ، وعرفت فور رؤيتها (*) .
 هتف (برونو) :
 - رائع يا (لوبيز) .. إنك تستحق مكافأتك هذه المرة
 عن جدارة .

بدا صوت (لوبيز) مفعنا بالكراهية ، وهو يقول :
 - صدقتى ياسنيور (برونو) .. فى هذه المرة بالذات
 يسعدنى أن أسهم فى تمزيق هذا الرجل إربا ، حتى ولو
 فعلت هذا مجانا .
 ثم استترك فى سرعة :
 - ولكننى سأحصل على مكافأتى بالطبع .

(*) بصمة الأذن : أسلوب فرنسى قديم . لتعرف المجرمين
 والعشبة فيهم ، وهى تعتمد على حقيقة علمية ، تقول : إن شكل أذن
 كل شخص يختلف اختلافا دائما عن شكل أذن الآخرين . بحيث
 يستحيل أن تجد اثنين يتشابهان فى شكل وتعاريج الأذن ، حتى للتوائم
 المتماثلة ، ولقد ظل هذا الأسلوب متبعا ، حتى ابتكر أسلوب التصوير
 والبصمات الحالى .

قال (برونو) فى لهفة :
- بالطبع يا (لوبيز) .. بالطبع .. هيا .. أعطنى
العنوان .

أملأه (لوبيز) العنوان ، ودونه (برونو) بكل عناية ،
ثم أنهى الاتصال ، ورفع عينيه المزهوتين اللامعتين إلى
(دان) و (ليفى) ، قائلاً :

- ها هو ذا شيطانكما قد سقط فى قبضتنا .

قال (ليفى) فى انفعال :

- سنرسل رجالنا على الفور لاقتناصه ، و ...

قاطععه (برونو) فى حزم :

- لا .. ليس على الفور .

هتف (ليفى) فى غضب :

- ماذا تنص ؟ .. هل سنتركه حتى يفر من أيدينا مرة
أخرى ؟

أجابته (برونو) :

- مطلقاً ، ولكننا أيضاً لن نتحرك بسرعة كبيرة ،
وبأسلوب يقلب عليه الانفعال ، حتى لا نترك له ثغرة
واحدة .

ثم اعتدل فى ثقة ، مستطرداً :

- اتركنى ألعبها بأسلوبى أيها الصغير ، وثق بأنه لن
يفلت من قبضة (برونو كيلرمان) أبداً .

قالتها وغادر الحجرة فى خيلاء ، وتابعه (ليفى) بعينه
الواحدة فى حلق ، حتى أغلق الباب خلفه ، ثم قال فى سخط :

- هراء .

وانتقلت إلى (دان) ، مستطرداً :

- ألق كل كلمة سمعتها من هذا الغيبى خلف ظهرك
يا (دان) ، ومر رجالنا بالتحرك فوراً ، ومهاجمة ذلك
الشيطان فى وكره ، وقتله لو اقتضى الأمر .. المهم أن
يستعيدوا عملاى الأثرية ، دون أن يفلتوا بنسنا واحداً منها ..

تردد (دان) لحظة ، وقال :

- ولكن ألن يتسبب هذا فى حدوث ارتباك ، و ...

صاح به (ليفى) مقاطعاً :

- نفذ ما أمرك به .

أسرع (دان) لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت (ليفى) قطعة
من الورق فى راحته ، وتطلع إليها قائلاً :

- لن تمضى ساعة واحدة إلا وتصبح فى قبضتى

يا (أدهم صبرى) ، وعندئذ ..

اعتصر الورقة فى قبضته ، مستطرداً :

- سأسحقك .

وبدت القبضة قوية ومخيفة ..

قبضة السفاح .

٥- الحصار ..

انهمك (أدهم) أمام المرأة ، فى تثبيت لحية حمراء على وجهه ، بعد أن ارتدى قناعاً مطاطياً رقيقاً ، أخفى ملامحه وأبدلها تماماً ، فى حين استندت (منى) إلى إطار النافذة ، وهى تراقبه فى انبهار ، قبل أن تتمتم :
- كم يذكرنى هذا بالأيام الماضية .
قال فى هدوء ، وهو يضع اللمسات الأخيرة على تذكره :

- إننا الآن فى الأيام الحالية يا (منى) .

غمغمت فى أسى :

- أعلم هذا .

تذكرت فجأة كيف فقد ذاكرته ، وتزوج غريمته اللدود (سونيا جراهام) ، وأنجب منها ابناً ، و ...

قاطع ذكرياتها صوت طرقات خافتة على باب الشقة ، فاعتدل (أدهم) ، قائلاً :

- إنه ليس (لوبيز) مرة ثانية بالتأكيد .

اتجهت نحو الباب ، وهى تقول :

- من يدري ؟ ... لا يمكنك أن تستنتج ما يمكن أن يقدم عليه غيبى مثله .

تابعها ببصره فى قلق حذر ، وهو يتحسس اللحية ، التى تحتاج إلى بضع ثوان أخرى ، لتستقر فى موضعها ، و ...

وفجأة انتبهت حواسه كلها ، وسرت فى جسمه موجة عارمة ، يدرك جيداً ما تعنيه ..

كانت (منى) قد أمسكت مقبض الباب بالفعل ..

وكان الصوت الذى سمعه خافتاً للغاية ، ويأتى مكتوماً ، من خلف الباب ..

ولكنه أدرك ماذا يعنيه ..

كانت تكة خافتة ، لا يمكن أن تخطئها أنن محترف ..

وفى حركة بالغة المروعة والمرونة ، اندفع (أدهم) نحو (منى) ، وجذبها جانباً ، وسقط معها أرضاً ، وهو بهتف :

- احترسى .

وفى الثانية التالية ، انهالت رصاصات مدفع آلى قوى على الباب ، واخترقته بلا هوادة ..

وصرخت (منى) :

- ما هذا ؟

أجابها في حزم ، وهو ينتزع مسدسه :
- لقد كشفوا أمرنا .. هذا كل شيء .

مع آخر حروف كلماته ، اندفع أربعة من المسلحين إلى ردهة المنزل ، وكل منهم يحمل مدفقا رشاشا قويا ، وأدار (أدهم) فوهة مسدسه إليهم .. واتلعت النيران ..
والعجيب أن (منى) لم تتبمس ببنت شفة ، أو حتى تطلق صرخة واحدة ، وسط المعركة القصيرة ، وهي تختفى خلف (أدهم) ، الذى حماها بجسده ، وهو يطلق رصاصاته على الرجال الأربعة ، ويصيب أيديهم وأقدامهم ، فى حين تلقى جسده رصاصة واحدة صائبة ، غاصت فى عضلة ذراعه اليسرى ، ثم غادرت الذراع مواصلة طريقها ، حتى ارتطمت بالجدار ..

وتراجع الرجال الأربعة فى ذعر ، وانطلق اثنان منهما يعدوان عبر ممر البناية ، فى محاولة للفرار من رصاصات (أدهم) ، التى لا تخطئ هدفها أبدا ، فى حين فقد الثالث وعيه ، وسقط الرابع على ركبتيه ، بعد إصابة قدميه ، وصاح فى ارتباك :

- لا .. لا تقتلنى .. الرحمة .

تجاهله (أدهم) تماما ، وهو يجنب (منى) بيسراه ، قائلا :

- هيا بنا .

رأت السماء تنزف من جرحه المزدوج ، وتغرق حلقه كلها ، ولكنها راحت تعدو إلى جواره ، وهى تهتف :

- هل نستخدم المصعد ؟

أجابها فى حزم :

- كلا .. المصاعد يمكن تعطيلها وإسقاطها .. سنصعد على أقدامنا .

هتفت فى دهشة ، وهى تقفز درجات السلم خلفه :

- نصعد !؟

قال فى سرعة :

- إنهم ينتظروننا فى أسفل حتماً .

صعدا بكل مايملكان من سرعة وقوة ، ومن خلفهما يرتفع صوت غاضب ، يهتف :

"- لا تتراجعوا .. انطلقوا خلفهما .. هيا وإلا مرقمك السفير شر ممزق .

تصاعد وقع أقدام عدد من الرجال ، وهم يطاردون (أدهم) و (منى) ، ولهت الأخريرة من فرط التعب والافعال ، وهى تقول :

- سيلحقون بنا حتماً .

لم يعلق (أدهم) على عبارتها ، وإنما واصل صعود السلم عدواً ، وهو يجنبها خلفه ، حتى بلغا معاً الباب

المعنى، الذى يقود إلى سطح البناية، فدفعه (أدهم) بقدمه، واندفع مع (منى) إلى السطح، وأغلق الباب المعنى خلفهما فى إحكام، وسمعها تطلق شهقة قوية وتهتف :

- لقد وقنا فى فخ حقيقى .

كان يعلم، قبل أن يلتفت إليها، أنها على حق، فالمبنى يرتفع عشرة طوابق، وسط منطقة تزخر بالبنائيات الصغيرة، ولا يبلغ ارتفاعه سوى مبنى واحد، وبعد ما يقرب من اثنى عشر مترًا على الأقل، عبر الشارع الجانبى، الذى يفصل بينهما .. ولم تمض نصف الدقيقة، على قول (منى)، حتى كان رجال (ليفى) قد بلغوا السطح، وراحوا ينهالون على بابهِ المعنى بكعوب مدافعهم الآلية، فسألت (منى) (أدهم) فى توتر :

- كم رصاصة بقيت فى خزانة مسدسك .

أجابها فى اقتضاب :

- واحدة .

هوى قلبها بين قدميها مع الجواب، وشهقت هاتفة :
- يا إلهى !.. لقد ظفروا بنا .

بدأ رجال (ليفى) يطلقون رصاصات مدافعهم على رتاج الباب، الذى بدا من الواضح أنه لن يحتمل طويلًا،

فدار (أدهم) بعينه فى المكان بسرعة، وتوقف بصره عند لفة كبيرة من الحبال، فقال فى حزم :

- ليس بعد .

أسرع إلى لفة الحبال، والتقطها فى خفة، وراح يصنع من طرفها أنشودة قوية، و (منى) تسأله :

- ماذا تفعل ؟

أجابها وهو ينهض مثجها إلى حاجز السطح :

- الحياة فى المزارع المكسيكية تكون مفيدة أحيانًا .

لم تترك ما يعنيه، حتى رآته يدير الأنشودة فى يده، كما يفعل رعاة الأبقار، ثم تلقى بها بكل قوته، نحو حاجز بارز، فى طرف المبنى المقابل، عبر الشارع الجانبى .. وقطعت الأنشودة الأمطار الإثنى عشر فى لحظة واحدة، ثم التفت حول الحاجز البارز، فى نفس اللحظة التى انهار فيها رتاج الباب المعنى، تحت ثيران مدافع رجال (ليفى)، فهتف (أدهم) بـ (منى) :

- تشبى بى .

قالت فى توتر عنيف، وهى تتطلع إلى الدماء، التى تغرق ذراعه اليسرى :

- ولكنك مصاب، ولن يمكنك أن ...

كان الباب قد انفتح بالفعل، وبدأ رجال (ليفى) يندفعون إلى السطح، ولم يعد هناك وقت للنقاش، و ...



ووشب معها عبر حاجز السطح ، وفوهات المدافع الآلية تنفثت إليه ..

وأحاط (أدهم) وسط (منى) بذراعه المصلبة ، وهو يهتف :
- قلت هنا .

ووشب معها عبر حاجز السطح ، وفوهات المدافع الآلية تنفثت إليه ، ورئيس رجال (ليفى) يصرخ بهم :
- ها هو ذا .. لا تسمحوا له بالفرار .
وفى لحظة واحدة انطلقت كل المدافع الآلية ..
وانفتحت أبواب الجحيم ..

عبر (حسام حمدي) ممر مبنى المخابرات الطويل ، فى خطوات واسعة سريعة ، واتحرف بفتة ، عند باب حجرة (قدري) ، وفتحه نون استئذان ، وهو يهتف :
- هل سمعت آخر الأخبار ؟!

قفز (قدري) من مكانه ، وانتفض فى شدة ، وسقطت شطيرة جبن من يده ، قبل أن يهتف :
- لقد أفزعتنى يا (حسام) .

تجاهل (حسام) هذا تمامًا ، وهو يذلف إلى الحجرة ، ويغلق الباب خلفه ، قائلاً :
- لقد اقتحم أحدهم السفارة الإسرائيلية فى (البرازيل) .

هتف (قدرى) :

- (أدهم) !!

ثم ارتبك وأسرع يستدرك :

- أعنى أن هذا بالضبط ما كان يفعله (أدهم) .

جلس (حسام) على المقعد المقابل له ، وهو يقول :

- بل قل ما فعله يا رجل .. (أدهم) هذا أروع رجل

مخابرات عرفته فى حياته كلها .. لقد أصابهم جميعاً

بالبجوتون ، وحطم كل أسوار أمنهم ، دون أن يمكنهم الظفر

به ، أو حتى كشف شخصيته .

فكر (قدرى) فى الاعتراض ، ثم لم يلبث أن أثر

الصمت ، فابتلع لسانه ، واكتفى بهز رأسه ، فتابع

(حسام) فى حماس :

- يبدو أنهم اختطفوا (منى) ، فقد أشعل صاحبك نصف

(برازيليا) فى ليلة واحدة ، وحطم قسماً للشرطة ، وهاجم

منزل مفتش مرتش ، قبل أن يقتحم السفارة الإسرائيلية

بأكبر ضجة ممكنة ، بعد أن اختفت (منى) من فئدتها .

اعتدل (قدرى) ، وهو يقول فى قلق :

- أفعّل كل هذا حقاً ؟! عجباً !.. إنه لا يقدم على هذا

عادة إلا فى أدق الظروف ، و ...

استوقفته ابتسامه (حسام) ، فاستدرك بسرعة :

- هذا لو أنه على قيد الحياة .

رئت (حسام) على كتفه ، وقال :

- فلنأمل أن يكون كذلك يا صديقى .

ثم نهض يغادر الحجرة ، مستطرداً فى خبث :

- حتى يمكننا تهنئته على الأقل .

لم ينيس (قدرى) ببنت شفة ، حتى أغلق (حسام)

الباب خلفه ، ثم التقى حاجباه فى قلق حقيقى ، وهو يتمتم :

- نعم .. مادام قد فعل كل هذا ، فأقصى ما تأمله هو أن

يظل على قيد الحياة يا صديقى .

وامتلأت نفسه بقلق شديد ..

قلق لا حدود له ..

اقتحم (برونو) حجرة (ليفى) فى غضب واضح ،

و (دان) من خلفه ، يحاول اللحاق به ومنعه ، هاتفا :

- لا يا مستر (برونو) .. ليس هذا من حقه .

ولكن (برونو) واصل اندفاعه ، حتى بلغ مكتب

(ليفى) ، فضرب سطحه براحتيه ، قائلاً فى حدة :

- لماذا فعلت هذا ؟

نفث (ليفى) دخان سيجارته فى برود ، وهو يقول :

- فعلت ماذا ؟

صاح (برونو) ثائرا :

- لماذا أرسلت رجالك ، لاقتصاص ذلك الرجل ، قبل أن

تحين اللحظة المناسبة ؟

قال (ليفى) فى صرامة :

- المناسبة لمن ؟

هتف (برونو) .

- لنا جميعا .. لقد دفعك انفعالك وغضبك إلى تجاوز

العقل والمنطق أيها السفير .. إنك تتصرف كرجال

العصابات ، وليس كدبلوماسى محترم ، ورجل مخابرات

سابق .. إنك تشعل حربا فى قلب العاصمة ، ولن يمضى

الأمر بسهولة .. شرطة العاصمة كلها ستهرع إلى ساحة

القتال ، وتفسد لعبتك كلها ، فينجح هذا الشيطان فى

الفرار ، وتخسر كل شىء .

قال (ليفى) فى شىء من السخرية :

- لن يجد الوقت للفرار .

ثم اعتدل بفتة ، مستطرذا فى حدة :

- إننى لا أتصرف على نحو عاطفى انفعالى كما تتصور

يا مستر (برونو) . بل إننى ألعب اللعبة ، كما ينبغى أن

أفعل .. أنت الذى يجهل طبيعة الأمور ، وطبيعة الخصم

الذى تقائله .

هتف (برونو) محنقا :

- لا تعد إلى هذا أيها السفير ، لا تحاول إقناعى بأن هذا

الرجل هو (أدهم صبرى) ، أو ...

هب (ليفى) واقفا فجأة ، وهو يضرب سطح المكتب

براحته ، هاتفا :

- كفى .

حنق (برونو) فى وجهه بدهشة ، واثبتت الكلمات

فى حلقه ، فى حين تابع (ليفى) فى حدة :

- إنك مجرد غر ساذج ، يصر على الالتزام بالأوراق

والتقارير الرسمية ، دون أن يفصح المجال لعقله

وتفكيره .. أنت واحد من أبناء جيل الكمبيوتر ، الذين

منحوا كل ثقتهم للأجهزة الحديثة ، فلم تعد أذهانهم قادرة

على حل مسألة رياضية بسيطة .. لا يا مستر (برونو) ..

أنت الذى يلعب اللعبة بأسوأ وسيلة ممكنة ، وهو يتصور

أنه أنكى الأنكباء .

احتقن وجه (برونو) ، وهو يقول :

- أيها السفير ، لست أسمع لك ..

صاح (ليفى) فى وجهه مقاطعا فى صرامة :

- اصمت .

تراجع (برونو) مبهوثا ، فى حين تابع (ليفى) بنفس

الغضب :

- إنك تحاصر المنطقة كلها، وترزع رجالك في كل مخرجها ومدخلها، متصورًا أن الصيد سيبقى منتظرًا في الأعماق، حتى تكلى إليه بشبك، فيتعلق به، وتسحبه أنت في هدوء إلى خارج المياه، وتتركه يلفظ أنفاسه الأخيرة على اليابسة .. بالمسافة !.. هل تتصور أنه سينتظرك، حتى تنتهي من كل هذا ؟.. كلا يارجل المخابرات الأمريكي .. خصمك هذا يمتلك عددًا لا حصر له من المهارات، حتى أنه يستطيع أن يخرج من نطاق حصارك السخيف هذا، دون أن يلقى من المتاعب والصعوبات أكثر مما يمكن أن تواجهه شعرة، في أثناء جذبها من وسط قالب من الزبد السائل .

تتحجج (برونو) في ضيق، وقال :
- سيدي السفير .. ألا تلاحظ أنك تضل على خصمنا هذا صفات أسطورية خيالية ؟
قال (ليفي) في سخرية غاضبة :
- بل أنت الذي يستهين بقدراته أكثر مما ينبغي أيها الذكي .

ومال نحوه بغتة، مستطردًا :
- الوسيلة الوحيدة لاقتناص هذا الرجل، هي مباحثته من حيث لا يدري ولا يتوقع، وبأقصى سرعة ممكنة .

اتعقد حاجبا (برونو) في شدة، وهو يقول في حق :
- إنن فانت ترى أنك الأبرع .. أليس كذلك ؟
أجابه (ليفي)، وهو ينفث بخان سيجارته في قوة :
- على الرغم منك .

عذل (برونو) سترته، وهو يقول في حدة :
- فليكن أيها السفير .. صحيح أن هذا يخالف كل ما تعلمناه، وكل قواعد العمل في جهاز مخابراتنا، وأي جهاز مخابرات آخر، ولكنني سأترك لك حرية التصرف هذه المرة، مادام التراجع لم يكن ممكنًا، ولنر إلى أين يذهب بنا أسلوبك هذا .

ابتسم (ليفي) في ظفر، وقال :
- إلى النصر حتمًا يا فتى .
وألقى نظرة على ساعته، قبل أن يستطرد في ثقة :
- فلو صار كل شيء كما خططت له تمامًا، ستجد أن خصمنا الآن مجرد جثة .. جثة هامدة .

★ ★ ★

انهال سيل من الرصاصات خلف (أدهم صبرى)، وهو يتعلق بالحبل السميك، طائرًا من سطح المبنى، إلى المبنى المقابل، وهو يضم جسد (منى) إليه بذراعه المصابة، وشعر بخيط من النار يحترق بجسده، أسفل إبطه الأيمن .

وبأزيز رصاصية تعبر إلى جوار أفنه ، وثانية ترتطم بطرف
الحبل ، وتمزق جزءاً منه ، و ...

وأمامه مباشرة رأى نافذة زجاجية سميكة ، فى واجهة
المبنى المقابل ، وهو يندفع نحوها مع (منى) ، التى
صاحت فى ارتياح :

- سترتطم بالنافذة .. رياه ...! زجاجها يبدو أقوى من
اللازم .

ولكن (أدهم) ضمها بساعده إلى صدره أكثر وأكثر ،
وأمال معصمه إلى الأمام فى حركة سريعة مرنة ، وضغط
زناده ، وهو يرفع قدميه أمامه ..

وأصاب رصاصته الوحيدة زجاج النافذة ، فى منتصفه
تماماً ..

وفى اللحظة التالية ارتطمت قدماه بالزجاج ..
وأطلقت (منى) شهقة عنيفة ، والزجاج يتحطم بدوى
هائل ، بعد أن أضعفته رصاصه (أدهم) كثييراً ، وجسدها
يندفع مع جسد (أدهم) إلى حجرة واسعة كبيرة خالية ، ثم
يرتطمنان بالأرض فى عنف ..

وعلى الرغم من الآلام التى تملأ جسدها ، رأت (أدهم)
يقفز واقفاً على قدميه ، ويعاونها على النهوض ، قائلاً :
- لقد نجونا مؤقَّتاً .

رئدت ذاهلة مشدوهة :

- مؤقَّتاً ؟!

جذبها فى حزم وحسم ، وتحرك بسرعة ليفادر الحجرة
معه ، قائلاً :

- بالطبع .. المطاردة لم تنته بعد .

اندفعا خارج الحجرة الخالية ، إلى صالة واسعة ، يعمل
فيها عدد من عمال الدهانات والديكور ، وحقق العمال
فيهما بذهول ، وهتف أحدهم :

- من أين أتيتما ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية ، وهو يدفع (منى) أمامه ،
إلى خارج الشقة :

- من السماء يارجل .. إننا ملاكك الحارمان .

بدت الإجابة عجيبة ، بالنسبة للعمال ، ولكن لم تكن
هناك فرصة لسؤال (أدهم) عما يعنيه ، فقد اختفى بسرعة
خارج المكان مع (منى) ، وأسرعاً مغاً نحو المصعد ،
و (منى) تهتف مذعورة :

- (أدهم) .. أنت مصاب .. فراعك اليسرى تتزف
بشدة ، وجانبك الأيمن ملوث بدماء جرح آخر ، و ...
قاطعها وهو يدفعها داخل المصعد :

- فيما بعد يا عزيزتى .. سأطألك بهذا التقرير الطبى
فيما بعد .

هبط بهما المصعد في سرعة ، حتى بلغ الطابق الأرضي ، ففادراه مسرعين ، واندفعا خارج البناية ، في نفس اللحظة التي ظهر فيها رجال (ليفى) ، أسفل البناية الأخرى ، وصاح أحدهم :
- ها هما ذان .

جنب (أدهم) (منى) ، وهو يعدو قاتلاً في سخرية :
- هيا يا عزيزتى .. سيبدأ سباق الألف ميل .
في نفس اللحظة ارتفعت أبواب سيارات الشرطة ، فترند رجال (ليفى) لحظة ، حتى هتف بهم رئيسهم :
- ماذا تنتظرون ؟ .. طاردوها .

اتحرف (أدهم) مع (منى) ، في أول طريق جانبي ، قبل أن يحسم الرجال أمرهم ، وقال وهو يشير إلى سيارة رياضية صغيرة ، تقف إلى جانب الإفريز :
- هيا .. سنستخدم هذه السيارة الصغيرة .

قفزت داخل السيارة المكشوفة ، ووثب هو فوق الباب ، ليستقر على مقعد القيادة ، وأدار محرك السيارة في سرعة ، وهى تسأله فى دهشة :
- هل تمتلك مفتاح هذه السيارة ؟

ابتسم قائلاً فى سرعة :
- بالطبع يا عزيزتى .. إنها سيارتى .

انطلق بالسيارة ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها رجال (ليفى) عند الناصية ، وظهرت سيارات الشرطة عند الناصية الأخرى ، فصاح قائد رجال (ليفى) :
- تراجعوا .. أخفوا أسلحتكم وتراجعوا .

دار الرجال على أعقابهم ، وانطلقوا يعدون بأقصى سرعتهم مبتعدين ، فى حينبقى قائدهم فى مكانه ، وهو يخفى مسنمه فى جيبه بسرعة ، وتوقفت سيارات الشرطة الثلاث أمامه ، وأطل وجه المفتش (لوبيز) من إحداها ، وهو يقول فى خبث :
- ماذا يحدث أيها المواطن الصالح ؟

أجابه الرجل فى سرعة ، وهو يشير إلى سيارة (أدهم) ، المنطلقة عبر الطريق :
- هذا الأجنبى هناك يطلق النار على المارة .. أسرعوا خلفه .. إنه يحاول الفرار .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (لوبيز) ، وهو يهتف برجاله :
- هيا .. انطلقوا خلفه .

وانطلقت سيارات الشرطة الثلاث خلف سيارة (أدهم) ، فقالت (منى) فى قلق :
- هذه الطرقات أكثر ازدحاماً مما ينبغي ، ولا تصلح للفرار من مطاردة كهذه .

أجابها في هدوء عجيب :

- هذا ينطبق على الجميع .

ولكن سيارات الشرطة الثلاث كانت تنطلق بسرعة أكبر ، وهي تطلق أبواقها المميزة ، وتدفع كل من يقف في طريقها جانبًا ، فالتقى حاجبا (أدهم) ، وهو يستطرد :

- أو هذا ماكنت أظن .

ثم انحرف بالمسيارة بفتة ، وقفز بها فوق الإفريز ، ثم انطلق مطلقًا نفيها على نحو متصل ، والناس تعدو مبتعدة ، وتقفز لمسحة له الطريق ، حتى بلغ نهاية ذلك الطريق الفرعى ، وقفز بمسارته إلى الطريق الواسع ، المعذ للقيادة السريعة ، فهتف ساخرًا :

- الآن أصبح الانتصار للأكثر مهارة يا عزيزتى ، و ...
بتر عبارته بفتة ، وأطلقت هي شهقة رعب قوية ، عندما اندفعت فجأة سيارة هائلة الحجم عبر الطريق ، وتوقفت على بعد أمتار قليلة من سيارتهما بعرض الطريق ..

ولم يكن هناك مفر من الارتطام ..
أيذا .

٦- واستمرت المطاردة ..

حل (برونو) رباط عنقه جزئيًا ، وهو يتراجع بمقعده ، ويهلى نظرة طويلة على شاشة جهاز الكمبيوتر الصغير داخل حقيبته ، ويعدد حاجبيه مفكرًا فى اهتمام وعمق ، ثم لم يلبث أن مال نحو الكمبيوتر مرة أخرى ، وراح يضرب أزراره بأصابعه فى سرعة ودقة ، ويطلع الرسوم التى تتراص على شاشته فى انتظام ، قبل أن يغمغم :

- الطريق الرئيسى .

حك ذقنه بسنابته ، وتابع فى همس :

- نعم .. هذا أمر منطقي .. إذا مانجح فى الفرار من رجال (لوفى) ، فسيكون من الطبيعى ، فى وجود مرتش مثل (لوبيز) ، أن تطارده الشرطة ، وهو إما أن يسرق سيارة ، أو يقد سيارته .. وهذا يعنى أن يحاول بلوغ الطريق الرئيسى ، لمساعدته هذا على المناورة والفرار .

كان يردد فى الواقع ما تنقله شاشة الكمبيوتر ، ويراجع ما توصل إليه ذلك العقل الإلكتروني الصغير ، ثم غمغم مرة أخرى :

- أراهن أنك لن تنق بهذه النتائج أبدًا ، أيها السفير اليهودى الغيى .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتف صغير إلى جواره ، فالتفت سماعته في سرعة ولهفة ، وهو يقول :
- (برونو كيلرمان) .. من المتحدث ؟
أتاه صوت أحد رجاله ، قائلاً :
- إنه أنا يامستر (برونو) .. كل شيء يسير كما توقعت تمامًا .

برقت عينا (برونو) ، في ظفر وسعادة ، وهو يهتف :
- حطاً ؟!

ثم استعاد رسالته في سرعة ، مستطرداً :

- هل نجح في الفرار من رجال (لوفى) ؟

أجابته الرجل :

- نعم يامستر (برونو) ، ورجال الشرطة بطاردونه الآن ، عبر شوارع المدينة ، بثلاث سيارات قوية .

هتف (برونو) :

- رائع .. إنه سيته حتماً إلى الطريق الرئيسي .. هكذا يقول الكمبيوتر .. أعني هكذا استنتجت أنا .. اسمعني جيئنا يا رجل .. مر (ألفريدو) باعتراض طريق سيارة ذلك المصري ، بواسطة (الفان) العملاقة ، التي أرسلناه بها إلى هناك .. هنا .. لا أريد أن ينجح رجال المصالح الجنائية في العثور على أية بقايا لذلك الشيطان وزميلته ، بعد حادث التصادم .

قال الرجل في سرعة :

- كما تأمر يامستر (برونو) .

وعندما أنهى (برونو) الاتصال ، كانت عيناه تهرقان بريقاً عجيباً ..
ورهيئاً ..

ما الفارق بين (أدهم صبرى) ، وأى رجل عادى ؟ ..
من المؤكد أنك طرحت على نفسك هذا السؤال أكثر من مرة ..

وأنتك حصلت على أكثر من جواب ..

ولكن دعنا ندرس هذا الأمر عملياً ، في هذه المرة ..
لو أن أى رجل عادى واجه ذلك الموقف ، الذى يواجهه (أدهم صبرى) الآن ، ووجد نفسه يتدفع فجأة ، بسرعة تتجاوز المائة والعشرين كيلومتراً ، فى الساعة الواحدة ، نحو واحدة من سيارات (الفان) العملاقة ، التى يبلغ صندوقها الخلفى ارتفاع مبنى من طابقين ، فلن يكون أمامه سوى أمر من اثنين ..

إما أن يضغط فرامل سيارته على نحو غريزى ، يدفعه إليه شعوره بالرعب ، فتكبح الفرامل إطارات السيارة

بغثة ، فى أثناء سيرها بهذه السرعة ، مما يتسبب حتماً فى انقلابها ، وتحطمها .. وربما انفجارها ..

وإما أن يشله الرعب ، فيعجز عن رفع قدمه عن دواسة الوقود ، وتواصل السيارة اندفاعها ، وترتطم بالناقلة العملاقة ، ولا تختلف النهاية كثيراً عن سابقتها .. وهنا يتجلى الفارق واضحاً ..

لقد وجد (أدهم) نفسه بغثة ، فى مثل هذا الموقف الحرج ، وأطلقت (منى) صرخة رعب هائلة . وهى تجلس إلى جواره ، وقد بدا لها الارتطام حتمياً ووشيكاً .. والموت أكثر حتمية ..

أما (أدهم) ، فلم تهتز له شعرة واحدة .. لقد درس عقله الموقف كله فى ثانية واحدة .. إنه لا يستطيع ضغط فرامل السيارة ..

والسيارة التى تعترض طريقه هائلة ، عملاقة ، لا يمكنه إزاحتها أبداً .. وفى الثانية التالية كانت عيناه تبحثان عن ثغرة ، وعقله يضع خطة النجاة ، و ... وجسده يضعها موضع التنفيذ ..

ويكل الحزم والصرامة ، صاح فى (منى) ، وهو يدفعها بقدمه إلى أسفل :
- انخفضى .

سقطت مرغمة فى الفراغ المقابل للمقعد ، وهى تهتف :

- ماذا ستفعل ؟

ولكنه لم يجب ..

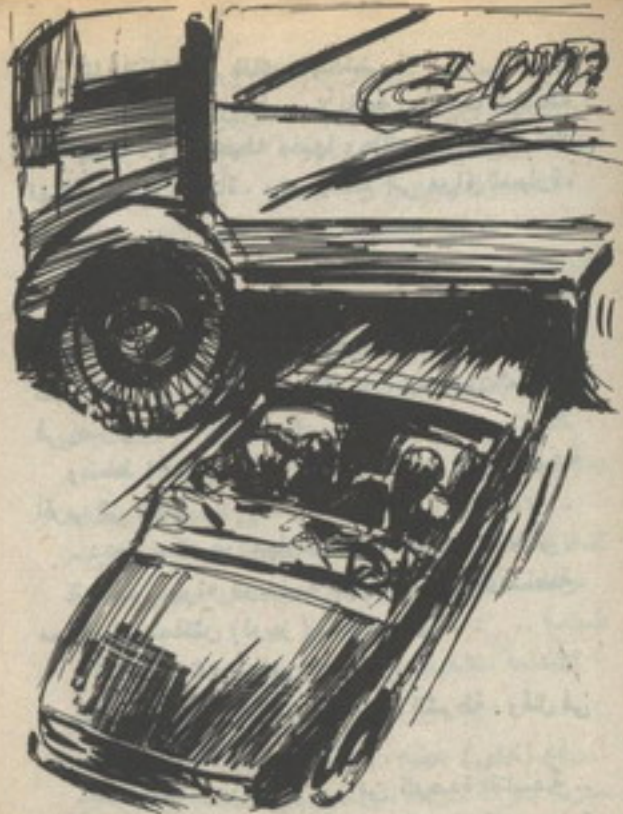
لم يكن لديه وقت لهذا ..

لقد مال بالسيارة ميلاً خفيفاً ، وزاد من سرعتها ، بدلاً من أن يضغط دواسة الوقود ، واختار تلك المنطقة الكبيرة ، بين إطارات الصندوق الخلفى للسيارة ، وقرر ارتفاع الصندوق عن الأرض ، ثم انقض بكل جراءة ، وخفض رأسه فى اللحظة المناسبة .. وحدث الارتطام ..

لم ترتطم السيارة كلها بالصندوق ، وإنما ارتطم زجاجها الأمامى بحافته السفلى ، فتفجّر فى عنف ، وتناثر فى كل مكان ، وسمعت (منى) فوق رأسها دويًا هائلاً ، جعلها تطلق صرخة رعب أخرى ، أعقبتها قرعة مخيفة ، والجزء الأخير من سقف السيارة المكشوف يرتطم بحافة الصندوق بدوره ، فتنتزع الحافة من موضعه ، وتلقى به إلى أربعة أمتار على جانب الطريق ..

ثم أشرقت الشمس من جديد ..

ولم تصدق (منى) نفسها ..



لقد عبرت السيارة الرياضية الصغيرة بين عجلات (الغان) العملاقة ..

لقد عبرت السيارة الرياضية الصغيرة بين عجلات (الغان) العملاقة .. وفي ذهول نهضت (منى) جالسة إلى مقعدها ، وحذقت في وجه (أدهم) ، الذي عاد يعتدل على مقعده ، وينطلق بالسيارة عبر الطريق ، وهتكت :
- كيف فعلت هذا ؟

أجابها ساخرًا ، وكأنه لم ينج من موت محقق منذ دقيقة واحدة :

- لقد أخطأ ذلك الإسرائيلي الوغد في اختيار السيارة ، التي تعترض طريقنا ، فهندوقها الضخم يرتفع مترًا كاملاً عن الطريق ، وسيارتنا رياضية منخفضة ، ولم يكن المطلوب أكثر من اختيار النقطة المناسبة للعبور فحسب .
رذت في دهشة :

- فحسب !؟ .. أنتصوّر أن ما فعلته أمرًا عاديًا ؟!

هز كتفيه في لامبالاة ، وقال :

- لو أنه اختار سيارة أقل حجمًا ، لما كانت هناك فرصة للنجاة .

حذقت فيه مرة أخرى ، قبل أن نغمغم :

- فليكن .. لقد أقسمت يومًا ألا أدع شيئًا مما تفعله

بدهشنى .

صمت لحظة شرد خلالها بصره ، قبل أن يقول في

صوت يحمل رنة حزن :

- أنا أيضاً لم يعد هناك ما يدهشنى .

شعرت بذلك الحزن الذى يملأ نفسه ، وأرأيت أن تسأله عما يعانيه ، وأن تحيطه بحبها وحنانها ، ولكنه استعاد لهجته الساخرة فجأة ، وهو يتطلع إلى مرآة السيارة ، قائلاً :

- يبدو أن المطاردة لم تنته بعد .

تطلعت إلى المرأة المجاورة له ، وأدركت ما يعنيه .. كانت السيارات الثلاث المطاردة تتجاوز (الفان) العملاقة ، التى أفسحت لهم الطريق ، وتواصل المطاردة فى إصرار ..

وضغط (أدهم) دواسة الوقود ، وهو يقول بلهجة أقرب إلى الجذل :

- دعينا نستعرض مهارتنا بعض الشيء يا عزيزتى .
اندفعت سيارته الرياضية عبر الطريق كالرصاصة ، مما أصاب المفتش (لوبيز) بالحلق ، فهتف :
- اللعنة !! إنه يتطلق كالصاروخ .

ثم أشعل جهاز اللاسلكى فى سيارة الشرطة ، وقال فى عصبية :

- هنا المفتش (لوبيز) .. من الوحدة التاسعة ..
السيارات (٩١٧) ، و (٩١٨) ، و (٩١٩) تطارد سيارة

رياضية حمراء ، من طراز (ألفا روميو) ، فى طريق (برازيليا - ريو دى جانيرو) .. حاولوا اعتراض طريقها بست سيارات على الأقل ..
أتاه صوت يقول :

- هنا الوحدة الخامسة .. هل يمكنك تحديد موقعها بالضبط ؟

أجابه (لوبيز) :

- ما بين المنطقة العاشرة والمنطقة الثانية عشرة ..
المهم أن تعرضوا الطريق فى ميرة ..
كاد ينهى الاتصال ، إلا أنه عطف حاجبيه فى وقت ، وهو يستطرد :

- ولا تترددوا فى إطلاق النار على السيارة ، ونسفها نفساً إذا اقتضى الأمر ، فسيانفها مسلح ، وبالعكس الخطورة .
وعندما أنهى الاتصال ، كان وجهه القبيح يحمل ابتسامة ضخمة ..
ابتسامة متشفية ..

رفع (لوفى) عينيه ، يستقبل (دان) ، الذى دلف إلى حجرته بحركة سريعة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم اتجه إلى مكتبه ، وقال بصوت خافت مضطرب :

- لقد نجا .

اتمعد حاجبا (ليفى) فى شدة ، وأطل غضب هائل من عينه الواحدة الصارمة ، وهب من مقعده بحركة حادة ، واتجه إلى النافذة ، ووقف يتطلع عبرها لحظات ، قبل أن يقول بصوت مختنق ، من شدة الغيظ :

- كيف ؟

أجابه (دان) فى توتر :

- لقد عبر أسفل (الفان) ، التى اعترض بها رجال (برونو) طريقه .. صحيح أن كل شيء يتجاوز المتر فى سيارته قد تحطم عن آخره ، ولكنه نجا مع زميلته ، و (لوبيز) يطاردهما الآن بثلاث سيارات كبيرة ، وهناك كمين معد لهما على الطريق .

مط (ليفى) شفثيه ، مغمغما فى حلق :

- كمين ؟! ..! بالسفافة !

ازجرد (دان) لعابه ، وقال :

- إنه ليس كمينا عاديا .. لقد أمرهم (لوبيز) بإطلاق النار على السيارة فور رؤيتها .. من الواضح أنه يبيض ذلك الرجل كثيرا ، بعدما فعله به .

مط (ليفى) شفثيه مرة أخرى ، دون تعليق ، وسأله :

- وأين (برونو) الآن ؟

أجابه (دان) :

- فى حجرته .. إنه يجلس أمام الكمبيوتر ، ويتلقى البيانات من رجاله طوال الوقت .

تمتم (ليفى) :

- الكمبيوتر ؟! ..! بالسفافة !

ثم سأل (دان) فى صرامة :

- هل تراقبون هاتفه ؟

أجابه (دان) فى سرعة :

- بالطبع .

مط شفثيه مرة ثالثة ، وردد :

- كمين ؟! ..! وهل يمكن أن يوقفه هذا ؟

ثم التفت إلى (دان) ، وقال فى انفعال :

- هل تعلم لماذا فشل الجميع دائما ، فى اصطياد هذا

الشیطان المصرى ؟

لم ينبس (دان) ببنت شفة ، فقد كان يعلم أن رئيسه إنما يتحدث مع نفسه بصوت مسموع ، وأنه لا يتوقع تدخله ، وكان من الواضح أنه على حق ، إذ تابع (ليفى) ، دون أن ينتظر منه جوابا :

- لأنهم يحاولون محاربته بالقوة .. أو بالمنطق على الأقل ، فى حين أنه أكثر قوة وحكمة منهم جميعا ، والمنطق لا يصلح أبدا للتعامل معه .

صمت لحظة ، التقي فيها حاجباه مرة أخرى ، قبل أن
يستطرد :

- كيف يمكن أن تهزمه إذن ؟

تطلع إليه (دان) في فضول وتساؤل حقيقيين ، دون أن
ينطق بكلمة واحدة ، فواصل (ليفى) :

- الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا ، هي أن تفلجسه
بما لا يتوقعه أبدا .

وطرق سبابته وإبهامه ، مستطرذا في حماس :
- هكذا فقط تقتنصه .

ثم اتجه إلى مكتبه في حركة سريعة ، والنقط سغاعة
هاتفه الخاص ، وضرب أزراره في سرعة ، واستمع إلى
الرنين على الجانب الآخر لحظات ، قبل أن يأتيه صوت
ناعس متخائل ، يقول :

- من المتحدث ؟

أجابه (ليفى) بلهجة صارمة :

- إنه أنا يا (باخوس) .. نعم .. (ميخائيل ليفى) ..
لا تسمأنى كيف عثرت عليك ، فأنا أعلم كل شيء عن
يعملون معي .. نعم .. نعم .. بالتأكيد .. أعلم أنك
و (زيليا) تقضيان إجازة طويلة في (ريودي جانيرو) ،
بفضل المكافأة التي حصلتما عليها من .. لا .. لا .. لست

أطلبكما بشيء .. إنه حقكما ، ولكننى أحمل لك عملا
جديدا ، لو نجحت في تنفيذه كما ينبغي ، وبدون أخطاء ،
ستحصل على مكافأة أكبر .. هل تفهمنى ؟

كان من الواضح أن (باخوس) قد وافق مباشرة ، فقد
برقت عين (ليفى) ، وهو يقول :

- حسن يا (باخوس) .. استمع إلىّ إذن ، ونفذ ما أقول
بالحرف الواحد .

وراح يشرح خطته ، و (دان) يستمع إليه مشدوها ..
وبشدة ..

كانت سيارة (أدهم) الرياضية الصغيرة قوية بالفعل ،
فقد تضاعفت المسافة التي تفصلها عن سيارات الشرطة
الثلاث أكثر وأكثر ، مع مرور الوقت ، حتى لم يعد يرى أيّا
منها في مرآة سيارته ، فابتسم في سخرية ، وهو يقول :

- يبدو أننا ربحنا السباق .

قالت في قلق ، وهي تتطلع إلى الدماء ، التي تفرق
سترته وثرأعه :

- ولكنك تنزف بشدة ، وتحتاج إلى إسعاف عاجل .

كان قد فقد الكثير من دمانه بالفعل ، ولكن بنيته القوية

احتملت هذا ، وقاومت كل علامات الإرهاق والوهن ، وهو
يجيب مبتسماً :

- لا تقلقى نفسك بهذا الأمر يا عزيزتى .. إنه نصف لتر
على الأكثر .

كُزرت فى إصرار :

- إنك تحتاج إلى إسعاف .

كان يدرك مدى خوفها وقلقها عليه ، فاحتفظ
بابتسامته ، على الرغم من آلامه ، وهو يقول :

- اطمئنى يا عزيزتى .. إتنى على خير ما يرام .

تطلعت إليه مشفقة ، وهمت بقول شيء ما ، لولا أن رأت
حاجبيه ينغقدان فى شدة ، وسمعه يقول :

- استعدى يا عزيزتى ، وارتندى أفضل ثيابك ، فلجنة
الاستقبال تنتظرنا ، على بعد أمطار قليلة .

التفتت إلى الطريق بسرعة ، واتسعت عيناها فى ثوتر
ودهشة ، عندما رأت سيارات الشرطة الست ، التى
تعترض الطريق ، وخلفها أكثر من ستة من رجال
الشرطة ، يصوبون مسدساتهم وينادقهم إلى (الألفا
روميو) الرياضية الحمراء ، وأصابعهم متحفزة لإطلاق
النار ..

وهتفت (منى) :

- توقف يا (أدهم) .. سيمطروننا بالنيران .

قال فى حزم صارم :

- مستحيل يا (منى) .. التوقف الآن يعنى الموت
حتمًا .

وواصل اندفاعه نحو الكمين ..

وصاح قائد رجال الشرطة :

- أطلقوا النيران .. إنه مسلح وبالقوة الخطورة .

ومع آخر حروف كلماته ، انفتحت أبواب جحيم
حقيقى ..

وانهال على السيارة سيل من الرصاصات ..

وبلا رحمة .



٧- انفجار ..

كل شيء بدا لـ (منى) أشبه بحلم عجيب ..

أو كابوس ..

كابوس بشع ..

لقد انطلق (أدهم) بالسيارة دون توقف، وفتح رجال الشرطة نيران مستسناهم وبنادقهم فى حزم وسخاء ..

وانهالت الرصاصات كالمطر ..

ثم انحرف (أدهم) بالسيارة يمينا، وسمعت (منى) الرصاصات ترتطم بالبواب الأيسر، و (أدهم) يصرخ بها :
- اتخفضى .

سقطت فى الفراغ المقابل للمقعد، واتسعت عيناهما ذعرا وهلعا، وهى تتطلع إليه ..

كان يقود السيارة بسرعة بالغة، ووجهه يحمل كل أمارات الصرامة والحزم والعناد، والسيارة تنزلق إلى اليمين فى سرعة، وعلى نحو بالغ الخطورة، والرصاصات تتطاير حول وجهه، دون أن يبالي بها، أو يرمش له جفن واحد ..

ثم كانت تلك القفزة ..

قفزة هائلة مخيفة، وثبت فيها (الألفا روميو) الحمراء كفهذ غاضب شرس، وأصابت الرصاصات قاعها، واخترقت إحداها القاع، إلى جوار (منى) تماما، قبل أن تبدأ السيارة رحلة الهبوط، وترتطم بالأرض فى قوة، ثم تدور حول نفسها بشكل مخيف ..

ولكن أصابع (أدهم) الفولاذية أطبقت على عجلة القيادة بقوة خرافية، وسيطرت عليها سيطرة تامة، فاستعادت السيارة توازنها بسرعة. ودفع (أدهم) عصا السرعة هاتفا :

- استجيبى أيتها الصغيرة .

انطلقت الرصاصات خلفه مرة أخرى، ولكنه أطلق العنان للسيارة، فشقت طريقها كالصاروخ، ومن خلفها هتف أحد رجال الشرطة فى ذهول :

- رأيتم ؟.. رأيتم كيف فعلها ؟!

أجابه زميل له كالمشذوه :

- مستحيل !.. لم أتصور أبدا أن (الألفا روميو) يمكنها هذا .

وهتف ثالث :

- لقد بدت لى أشبه بطائرة صغيرة، و ...

قاطعه رئيسه فى حلق :

- لن نقضى وقتنا فى وصف ما حدث .. هيا اطلقوا
خلفه .

ترد الرجال لحظة ، ثم قال أحدهم معترضًا :
- لن يمكننا اللحاق به أبدًا .. ألم تر السرعة التى
ينطلق بها أيها الرئيس ؟
لم يجب الرئيس ، وإنما لاذ بالصمت والحنق
والغضب ..

لقد كان الرجل على حق ..
إنهم لن يلحقوا بسيارة كهذه أبدًا ..
أبدًا ..
أما فى السيارة ، فقد عادت (منى) إلى مقعدها ، وهى
تقول فى توتر شديد :
- لقد أصابتك إحدى رصاصاتهم .

كان جانب عنقه الأيمن مصابًا بجرح طويل ، تسيل منه
الدماء اللزجة ، على نحو يوحي بأن رصاصة قد احتكت
بعنق (أدهم) ، الذى غمغم :
- ربما .. دعينا لانفكر فى هذا الأمر الآن .
هتفت :

- فإم نفكر إذن ؟
عقد حاجبيه ، قائلاً فى حزم :

- فى عودتك إلى (القاهرة) .

هتفت فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

- (القاهرة) ؟! .. ماذا تعنى ؟

قال فى صرامة :

- أعنى أن البقاء هنا صار أمرًا بالغ الخطورة ، وليس
من الحكمة أن نبقى معًا .. الأفضل أن يرحل أحدهما .
عقدت ساعديها أمام صدرها ، وقالت فى حدة :
- فلترحل أنت إذن .

التقى حاجباه ، وهو يقول :

- لاتجادلى أيها الرائد .. هذا أمر ..

بتر عبارته بقتة ، قبل أن يتم الكلمة ..

لم يعد من حقه أن يصدر إليها أية أوامر ..

إنها هى صاحبة الحق فى القيام بهذه المهمة ، لا هو ..

وفهمت هى ما كان يعنيه ..

فهمته وتجاهلت ما سبق أن قالته ، وهى تقول فى لهجة

أقرب إلى الرجاء :

- أرجوك يا (أدهم) .. فلنتم هذه المهمة معًا .

هو أيضًا فهم ما فعلته ..

وقدّرته كثيرًا ..

وفى حنان المحب ، ربت بأصابعه على وجنتها ،

وتعمت :

- لا بأس يا عزيزتى .. لا بأس .. سنواصل عملنا
معا .

خفى قلبها للمسته ، وتراقص بين ضلوعها كعصفور
حبس ، وتمنت لو قبضت على أصابعه القوية ، وألصقت
راحته بوجنتها ، واستكاثت له ..
ولكنها قاومت ..

قاومت كما تفعل دائما ، وتتحنن فى حرج ، وهى
تقول :

- كيف حال زوجتك وابنتك ؟

لم تدر لماذا اختارت هذا السؤال بالذات ، من بين كل
الأسئلة ، التى يمكن أن تلقىها فى موقف كهذا ..!

لقد تجاوزت الكلمات شفتيها ، وجذبت خلفها نهرا من
الندم ، جعلها تعض الشفتين اللتين نطقتاها ..
وخاصة مع ذلك الأسى ، الذى غمر ملامحه كلها ، فور
سماعه السؤال ..

أسى عجيب ، يمتزج بالحزن والمرارة ، وبشئ من
الغضب ..

أسى جعله يصمت لحظة ، بدت لها أشبه بالدهر ، قبل أن
يجيب :

- لقد رحلت (سونيا) .

نطقها بلهجة غريبة ، بدت لها أشبه بدمعة حزن ،
مغموسة فى بركة من الارتياح ، تسبح فيها زوارق محملة
بالمرارة ، مما جعلها تسأله فى حذر :

- وهل يؤلمك هذا ؟

صمت لحظة أخرى ، قفزت خلالها لهفتها إلى الذروة ،
واشتعل فضولها ، حتى كاد يذوب فى أعماقها ، قبل أن
يقول :

- رحيل (سونيا) لا يؤلمنى يا (منى) ، ولكن ما يزلزل
كيانى هو أنها قد حملته معها .

قالت فى دهشة :

- ابنتك ؟!

أوما برأسه إيجابا ، دون أن ينس بيت شفة ، وإن
اعتصرت أصابعه عجلة القيادة أكثر ، وزادت قفمه من
السرعة بمقدار ما تبقى من قدرة محرك السيارة ..

وشعرت بمدى ما يعانويه فى أعماقه ، بسبب هذا ،
فسألته فى اهتمام بالغ :

- إلى أين ذهبنا ؟

هرأسه قائلا :

- ليتنى أعلم .. لقد رحلت (سونيا) ، واختفت مع
الطفل تماما ، ولقد قضيت شهرا كاملا أبحث عنهما ، فى
(أوروبا) كلها ، دون جدوى .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في مرارة :
- (سونيا) تجدد إستغلال كل مهاراتها ، وكل ما تعلمته
من فنون المغامرات ، وكل ما تملكه من مال وجمال ،
لتنقذ منى .

قالت (منى) في حيرة :

- تنقذ منك ؟! لماذا ؟

لم يجب هذه المرة ..

لم يشأ أن يخبرها أن (سونيا) إنما فعلت هذا من
أجلها ..
من أجل ما فعله لها (*) ..

لم يشأ أن يورثها شعورًا بالذنب أو الندم .. أو يجعلها
ترى نفسها المسئولة عما يعانيه من ألم وعذاب ..
كان حبه لها يمنعه من أن يفعل ..

وعندما كُذرت (منى) سؤالاتها ، والفضول ينهشها
نهشًا ، أجاب في اقتضاب :

- لا يمكنك أبدًا استنتاج أسلوب تفكير (سونيا
جراهام) .

وقبل أن يمنحها فرصة التفكير في عبارته ، أو إلقاء
سؤال آخر ، استطرد في سرعة :

(*) راجع قصة (الثعلب) .. المغامرة رقم (٨٦) .

- سنصل (ريو دي جانيرو) بعد قليل .

سألته في قلق :

- ألا يحتمل أن يكون هناك كمين آخر في انتظارنا ، عند

منخل (ريو) ؟

ابتسم قائلاً :

- من المؤكد أننا سنجد في انتظارنا أكثر من كمين .

هتفت في دهشة :

- كيف سنذهب إليها مباشرة إذن ؟

بدت لها ابتسامته متهاككة إلى حد ما ، وهو يقول :

- ومن قال إننا سنتخذ الطريق المباشر ؟

ثم انحرف بسيارته ، وغادر الطريق إلى طريق فرعى

صغير غير مطروق ، وهو يستطرد :

- لقد درست خريطة الطرق جيدًا ، وعثرت على منخل

قديم للمدينة لم يعد مطروقًا منذ زمن .

قالت في قلق شديد :

- لا يعنينى أى طريق نتخذ .. المهم أن نصل إلى

المدينة بالسرعة الكافية ، فأنت تحتاج إلى إسعاف عاجل .

ازدادت ابتسامته تهالكًا وشحوبًا ، وهو يقول :

- اطمئنى يا عزيزتى .. سنصل إليها بإذن الله .. من

سيخطر بباله أن نتخذ طريقًا غير مهمد كهذا ؟

نعم يا (أدهم) .. هذا هو السؤال ..
من يخطر بباله هذا ؟ ..
من !؟

استمع (برونو) إلى أحد رجاله في اهتمام بالغ، عبر أسلاك الهاتف، ورئد وهو يطالع شاشة الكمبيوتر :
- إذن فقد أفلت من التكمين !؟ نعم .. كنت أتوقع هذا تمامًا .. هل أعدوا له كمينًا آخر ؟
أجابه الرجل :
- نعم يا مستر (برونو) .. ولكنه لم يصل بعد إلى (ريو دي جانيرو) .
التقى حاجبا (برونو) ، وهو يقول :
- لم يصل بعد !؟ .. أين ذهب إذن ؟
قال الرجل :
- لا أحد يدري بعد يا مستر (برونو) .. إنهم يبحثون بالهليوكوبتر عبر الطريق ، وما زال البعض ينتظره ، في مدخل (ريو) .
صمت (برونو) لحظة ، وهو يدون هذه المعلومات على شاشة الكمبيوتر ، ثم قال في حسم :
- حسن يا رجل .. أبلغني بالتفاصيل أولاً فأولاً .

أنهى المحادثة ، والتفت إلى شاشة الكمبيوتر ، لينقل إليها ما لديه من بيانات ومعلومات ، في سرعة واهتمام ، و ...

وفجأة سمع من خلفه صوت (ليفى) ، يقول فى مزيج من الحلق والسخرية :
- أما زلت تواصل عبك ؟
التفت إليه (برونو) بحركة حادة عنيفة ، وهتف :
- مستر (ليفى) .. لا يحق لك أن تقتحم حجرتي على هذا النحو ، دون استئذان .
أجابه (ليفى) فى غلظة :
- إنها سفارتي ، وسأفعل بحجراتها ما أشاء ، ولو أن هذا يحقك ، فيمكنك العمل من سفارتك .
قال (برونو) فى غضب :
- مستر (ليفى) ، ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟
رمقه (ليفى) بنظرة طويلة ، دون أن يجيب ، ثم أدار عينه إلى الكمبيوتر ، وقال ساخراً :
- هل أتباك عقلك الإلكتروني بما ينبغي عليك عمله ؟
قال (برونو) فى حدة :
- التعامل مع أجهزة الكمبيوتر سمة العصر يا مستر (ليفى) ، والسخرية منها تدعو إلى التخلف .

قال (ليفى) ساخراً :

- التخلّف ؟!

ثم مال نحوه بفتّة، واستطرد فى صرامة :

- وبالمناسبة لست أحب أن يخاطبني الآخرون بلقب

(مستّر) هذا .. إننى أفضل (سيادة السفير) .

عض (برونو) شفّته فى غيظ، وقال :

- لا بأس .. إنها مجرد شكليات بامس .. أقصد

يا سيادة السفير .

قال (ليفى) بأسلوب استفزازى :

- أنا أحب الشكليات .

وألقى نظرة متفحصة على شاشة الكمبيوتر، قبل أن

يقول فى استهتار :

- لا بأس . واصل عملك .

وغادر الحجرة بحركة سريعة، دون أن يتبادل معه

حديثاً آخر، واتجه إلى حجرته مباشرة، وهناك سأله

(دان) فى اهتمام :

- هل رأيت ما يفعله يا سيّدى السفير ؟

أوماً (ليفى) برأسه إيجاباً، وهو يجلس خلف مكتبه،

وقال :

- كما توقّعت تماماً .. إنه مجرد غر ساذج .. لقد

تصوّر أن عدم وصول غريمنا إلى (ريو) يعنى أنه موقوف
فى الطريق، أو عاد أدراجه .

ثم جنب خريطة قديمة، وبرقت عينه الواحدة، وهو
يضيف :

- لم يتوقّع أبداً أن خصمنا سيلجأ حتفاً إلى

ما لا نتوقّعه .. إلى هذا الطريق القديم .

وكانت سيّابته تشير إلى الطريق غير الممهّد ..

إلى الهدف الصحيح ..

★ ★ ★

اتطلّقت سيارة كبيرة، من طراز (الجيب) ، عبر

الطريق غير الممهّد، حتّى بلغت منطقة جبلية، تعرّضت

قديماً لانهيار صخري محدود، تسبّب فى قطع الطريق،

فتوقّفت، والتفت سائقها إلى الفتاة الجالسة إلى جواره،

قائلاً :

- إنها نهاية المطاف .

كانت فاتّنة، بكل ما فى الكلمة من معان، وجمالها

يحمل الطابع البرازيلى على نحو واضح، بشعرها الأسود

الناعم الفاحم الطويل، وبشرتها القمحية، وعينيها

الواسعتين شديتى السواد، ورموشها الطويلة، وشفّتيها

الحمراوين المضمومتين فى حزم وكبرياء ..

وفي لامبالاة، قالت الفتاة :

- كان ينبغي أن تتوقع هذا .

هبط الشاب من السيارة ، وجذب صندوقاً طويلاً ، حملة

على كتفه في عناية ، وهو يقول :

مهمتنا ليست توقع الأمور يا عزيزتي (زيليا) .. كل

ما علينا هو أن ننفذ ما يأمرونا به ، ونتقاضى أجرنا مقابل

هذا .

مطت شفتيها ، وهي تغادر السيارة بدورها ، وغمقت :

- يا للسخافة !

مررت أصابعها في شعرها الناعم الطويل ، ثم جذبت يدها

منه في حركة قوية ، فتطاير حول وجهها في نعومة ، قبل

أن يستقر على كتفها كشلال من الحرير الأسود ، مما جعل

الشاب يطلق صغيراً طويلاً ، ويبتسم قائلاً :

- رائعة .. أقسم إنك كذلك .. أنت أكثرهن فتنة

وجمالا ..

هزت كتفها قائلة :

- أعلم هذا .

ثم جذبت من السيارة مدفعاً آلياً ، جذبت إبرته على نحو

يشق عن احتراف وخبرة ، والشاب يقول :

- كم تدهشينني يا (زيليا) !.. كيف يتفق جمالك هذا مع

عملنا ؟

قالت في ازدياء :

- ولماذا يتعارضان ؟

ثم أشارت إلى تل قريب ، وقالت :

- هيا .. سننتظرهما هناك .

صعدا التل معاً ، وهو يحمل الصندوق على كتفيه ، حتى

بلغا قمته ، فأشارت هي إلى صخرة كبيرة فوقه ، وقالت :

- هذه المنطقة مناسبة تماماً للتصويب يا (باخوس) .

غمغم (باخوس) :

- هو كذلك .

وضع الصندوق أرضاً ، وفتحه في عناية ، وأخرج منه

ماسورة كبيرة من الصلب ، راح يثبتها فوق قائم معدني ،

ثم أوصلها بخزانة خاصة ، وأخرج من الصندوق

صاروخين ، من ذلك الطراز المستخدم لقتال الدبابات ،

وهو يقول :

- يبدو أن سنيور (ليفي) ينوي سحقهما سحقاً .

قالت في برود :

- ليس هذا من شأننا .

ابتسم قائلاً :

- بالطبع .. المهم أن نحصل على مكافأة سخية .

هزّت كنفها دون جواب، والتقطت منظرا مقربا،
وضعت فوق عينيها، وراحت تراقب الطريق من بعيد، في
حين انهمك هو في تركيب المدفع، ثم قال وهو يجلف
عرقه :

- لقد انتهيت .

ألقت نظرة متفحصة على المدفع، وقالت :

- عظيم .. هل تجيد التصويب ؟

ضحك قائلا :

- ياله من سؤال !

تطلعت إليه بنظرة باردة، ثم عادت تراقب الطريق
بمنظارها، قبل أن تقول في انفعال :

- لقد وصلا :

اختلف المنظر من يدها، وتطلع إلى الطريق في
اهتمام، ورأى سيارة (أدهم) الرياضية الحمراء تقترب،
وهي تتقاذف فوق الأرض غير الممهدة، وشاهد (أدهم)
و (منى) واضحين، فابتسم في جذل، وهو يقول :

- سيكون أسهل مبلغ رحته، في حياتي كلها .

أعاد إليها المنظر، ورقد على بطنه أرضا، وصوب
مدفعه في دقة وإحكام إلى (الألفا روميو) الحمراء،
ورآها داخل دائرة التصويب الخاصة ..



وضع الصندوق أرضا، وفتح في عنابة، وأخرج منه ماسورة
كبيرة من الصلب، راح يثبتها فوق قائم معننى ..

وضغط الزناد ..

واتطلق الصاروخ الصغير من المدفع ، يجر خلفه ذبلاً
طويلاً من النيران ، وصاحت (منى) فى ذعر :

- ما هذا ؟

ثم دوى الانفجار .



٨- صراع فى الجبل ..

رفع (قدرى) عينيه عن جواز سفر أحمر اللون ، كان
بنهمك فى إضافة بعض البيانات الخاصة إليه ، وتطلع فى
اهتمام إلى (حسام) ، الذى تلف إلى حجرته ، وهو يحمل
ورقة صغيرة ، فقال (حسام) ، وهو يناوله الورقة :

- هل قرأت آخر الأخبار ؟

غمغم (قدرى) ، وهو يلتقط الورقة من يده :

- ليس بعد .

تركه (حسام) يقرأها ، وهو يجلس على المقعد المقابل
له ، ويقول :

- الشرطة البرازيلية تطارد رجلاً وفتاة ، أطلقا النيران
فى قلب (برازيليا) ، ثم هربا بسيارة رياضية ، عبر طريق
(ريودى جانيرو) ، ونجحا فى الفرار من كمين محكم .

قال (قدرى) فى قلق :

- أهذه آخر الأخبار ؟

أجاب (حسام) :

- نعم .. لقد تلقيتها الآن ، وأتيت إليك على الفور .

ثم عاد ينهض ، مستطرداً :

- يبدو أن الأمور تتعقد أكثر وأكثر هناك .
عجز (قدرى) عن التعبير عن قلقه ، فاكتملى بالصمت ،
فى حين تابع (حسام) :
- أنظنهما ينجوان من هذا المأزق ؟
قال (قدرى) :
- من ؟ !

تطلع إليه (حسام) معاتباً ، وهو يقول :
- (منى) و ... وزميلها .

ازدرد (قدرى) لعابه ، وقال :
- أتعشم هذا .

تنهَّد (حسام) ، وقال :
- نعم .. نتعشم هذا .

استعد للاتصراف ، وألقى نظرة على جواز السفر ، الذى
يعمل به (قدرى) ، وسأله :
- أهو جواز بريطانى ؟

هز (قدرى) رأسه نفياً ، وقال :
- بل إسرائيلى .

رفع (حسام) حاجبيه لحظة فى دهشة ، لم تلبث أن
تلاشت ، وهو يلتقط جواز السفر المتقن ، ويلقى نظرة على
صورة صاحبه ، ثم يغمغم :
- فهمت .

وغادر الحجرة دون أن يضيف حرفاً واحداً ، فالتقط
(قدرى) تلك الورقة الصغيرة ، التى تحمل الخبر ، وقرأها
مرة ثانية ، قبل أن يقول فى قلق :
- ترى أين أنتما الآن ، يا أقرب الأصدقاء ؟
ولم يحر عقله جواباً ..

مع صرخة (منى) تحرك (أدهم) ..

كان قد لمح الصاروخ بطرف عينه ، فى نفس لحظة
انطلاقه ، فاتحرف بالسيارة فى حركة حادة عنيفة ، ورأى
الصاروخ يعبر أمام عينيه تماناً ، وينفجر فى مرتفع
صخرى قريب ، فتناثرت مع انفجاره الصخور والشظايا ..
وصاحت (منى) :

- أيها جموننا بالصواريخ ؟

لم يجب (أدهم) ، وإنما حاول أن يزيد من سرعة
السيارة ، على الرغم من الأرض غير الممهدة تحتها ، فى
نفس اللحظة التى هتفت فيها (زيليا) :
- لقد أخطأت .

قال (باخوس) فى حلق :

- لم يحدث هذا قط من قبل .

وصوب الصاروخ الثاني في إحكام أكثر، وأكثر ..
 وشعر (أدهم)، في تلك اللحظة، بالسيارة تصرخ
 وترتطم بالأرض في عنف، فهتف :
 - لقد خسرنا أحد الإطارين الأماميين .
 شحب وجه (منى)، وهي تقول :
 - يا إلهي!.. في مثل هذه الظروف؟!
 كان الانطلاق بالسيارة مستحيلاً، مع فقد الإطار،
 والأرض غير الممهدة، فهتف (أدهم) بـ (منى) :
 - غادري السيارة .. بسرعة .
 ولكن (باخوس) ضغط زناد المدفع، في اللحظة
 ذاتها ..
 وانطلق الصاروخ الثاني ..
 وفي هذه المرة أصاب (باخوس) الهدف تماماً ..
 ودوى الانفجار في المنطقة كلها ..
 وصرخت (زليلا) :
 - نجحنا ..
 أما (منى)، فشعرت وكأن الانفجار قد دوى في
 أعماقها، فانتزع أحشاءها، وألقى بها خارج جسدها،
 الذي اندفع في عنف، إلى خارج السيارة، وارتطم
 بالصخور والرمال، ثم أحاطت به سحابة كثيفة من
 الغبار ..

وبكل ما تبقى في أعماقها من قوة، هتفت :
 - (أدهم) .. النجدة .
 فالتفتها وإدراكها يتراجع، مع تلاشي وعيها التدريجي،
 وبدت لها سحابة الغبار وكأنها تغرق في ظلام دامس، لم
 يلبث أن أحاط بها تماماً، مع غيابها عن الوعي ..
 وبلغ نداءها أذنيه ..
 وقلبه ..
 وعلى الرغم من جسده المثلخ بالجراح، والآلام التي
 تصرخ من كل خلية من خلاياه، كان من المحتم أن يهب
 لنجدة ..
 وبإرادة فولاذية، انتزع جسده انتزاعاً، وراح يتخبط
 في سحابة الغبار الكثيفة، بحثاً عنها ..
 وفي أعلى التل القريب، هتف (باخوس) ظافراً :
 - انتصرتنا يا (زليلا) .. ربحتنا المعركة .
 أمرعت تهبط التل، وهو في أثرها، قائلة :
 - أحسنت يا (باخوس) .. أحسنت .
 سألها في لهفة :
 - أين سنقضي الإجازة القادمة ؟
 هتفت في جنل :
 - (مونت كارلو) .. لن أقبل بأقل منها، مع قيمة
 المكافأة .

بلغا موضع السيارة وسحابة الغبار المحيطة بها تتفشع
تدرجياً ، وقالت (زيليا) :

- يبدو أنك لم تحسن إصابة الهدف تماماً كما بدا
الموقف من أعلى .. لقد أصبت مقدمة السيارة فحصب .

قال في سخرية :

- المهم النتائج .

انتعدد حاجبها في شدة ، وتحفر المدفع الآلى في يدها ،
وهي تقول :

- صدقت .. المهم النتائج .

عقد حاجبيه بدوره ، مع انقشاع سحابة الغبار ، عندما
بدا من الواضح أن المنطقة خالية ، لا أثر فيها لـ (أدهم)

و (منى) ، وهتف :

- اللعنة !.. أين ذهب ؟

قالت محزنة :

- إنك لم تصب الهدف بدقة أيها الوغد .

صاح :

- لقد أصبته .. السيارة نفسها دليل على هذا ..

مستحيل أن يكونا قد نجيا من الحادث .

أسرعت هي نحو السيارة ، وفحصت الأرض ببصرها
في سرعة ، ثم أشارت إلى بقعة ما ، قائلة :

- كيف تفسر هذا إذن ؟

كانت تشير إلى بقعة واضحة من الدماء ، تلوث بعض
الحصى والرمال ، فقال (باخوس) في اهتمام :

- لقد أصيبا .

تابعت هي الآثار ببصرها ، وقالت :

- الفتاة أصيبت ، وفقدت وعيها ، والرجل مصاب
بشدة ، ولكنه نهض ، واتجه إلى حيث كانت الفتاة ،
وحملها ، ثم اتجه إلى الجبال هناك .

كان يعرف براعتها الشديدة في تكصّي الأثر ، لذا فلم
يشك لحظة واحدة في قولها ، وهو يسأل :

- هل يمكنه القتال ؟

هزت كتفها ، قائلة :

- لقد حمل الفتاة على الأكل .

ثم رفعت مدفعها الآلى ، وقللت في تصميم :

- ولكنه لن يذهب بعيداً .

التفت (باخوس) إلى حيث تنظر ، وقال :

- نعم .. لن يذهب بعيداً .

وتتبع الاثنان آثار أقدام (أدهم) في إصرار ..

وعناد :

وشراسة ..

كان ما يقطعه (أدهم) هذه المرة ضرباً من المستحيل
بالفعل ..

لقد فقد الكثير من نمائه ، من جراح صدره ونراعه
وعنقه ..

وبذل جهداً يفوق قدرات البشر ..

ولكنه لم يستسلم ..

كان يحمل (منى) الفاقدة الوعي ، عبر دروب جبيلية
وعرة قاسية ، وقد تمرّقت سترته ، وفرغ مسنسه من
السرصاصات ، وفرغ جسده - أو كاد - من الطاقة
والجهد ..

وفي تهالك ، أرقد (منى) بين حاجزين من الصخور ،
وانتزع سترته ؛ ليصنع منها مظلة تقيها أشعة الشمس ، ثم
تحسّس رأسها في حنان ، وجلس إلى جوارها ..

كان يقاوم في إصرار غيبوبة عنيدة ، تصرّ على
السيطرة على عقله ، وإحاطة ذهنه بمحابة سوداء ، تزداد
كثافتها في كل لحظة ..

وكان يعلم أن البقاء في موضعه مستحيل أيضاً ..

وفي سرعة وحسم ، اتخذ (أدهم) قراره ..

لا بد له أن يقاتل من أجلها ..

من أجل (منى) ..

والوسيلة الوحيدة لهذا هي أن يتركها ، ويجنب انتباه
مقاتليه بعيداً عنها ..

ألقي نظرة أخرى على وجهها الشاحب ، ثم مذ أصابعه
بمسح العرق الذي يغمر جبهتها ، ويعيد خصلات شعرها
الملتصقة بها إلى موضعها ، وهو يتمتم في خفوت حنون :
- معذرة يا عزيزتى ، ولكننى مضطر لتركك هنا ..
سامحينى .. إننى أفعل هذا من أجلك .

ثم نهض ملقياً عليها نظرة أخرى ، وأشاح بوجهه
بسرعة ، قبل أن تغلبه عواطفه ، وابتعد ليبدأ قتالاً جديداً ..
قتالاً من أجلها ..

جذبت (زيليا) إبرة مدفعها الآلى للمرة الثالثة ، لتتأكد
من استعداده للانطلاق ، وهى تتابع آثار (أدهم) ، وتقول
لـ (باخوس) فى تنفّز :

- استعد .. ربما التقينا بهما فى المنحنى التالى .

جذب إبرة مدفعه بدوره ، وهو يقول :

- سيكون هذا من سوء حظهما .

كانا يستعدان للانحراف ، إلى حيث أرقد (أدهم)
(منى) ، عندما ارتفع فجأة صوت بطلنا ، من قمة التل ،
وهو يقول فى سخرية :

- أو من سوء حظك أيها الوغد .

استدار (باخوس) و (زيليا) في سرعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهما على (أدهم) ، الذي تابع مساعرا :

- معذرة .. لم أعلم أنكما وغدان .

صاح (باخوس) ، وهو يدير فوهة مدفعه إليه :

- ربما كنا وغدين ، أما أنت فأحمق كبير .

وأطلق نيران مدفعه الآلى نحو (أدهم) ، الذى قفز من مكانه ، وانطلق يعدو فوق الصخور ، ويثب من مكان إلى آخر ، تلاحقه الرصاصات ، وصيحة (باخوس) ، الذى يهتف :

- لن نفلت .

هتفت به (زيليا) :

- إنه يتجه نحو التل الشرقى .. هيا .. سنحاصره من الجانبين .

انطلقا معا لتطويق التل الشرقى ، وكل منهما يحمل مدفعه الآلى ، وعندما بلغاه دار (باخوس) جنوبا ، واتجهت (زيليا) شمالا ، و ...

وفجأة صرخ شيء ما فى أعماقها ..

ماذا يحدث ؟!

لماذا أعلن ذلك الرجل عن وجوده ، مادام لا يملك سلاحا ، وجسده غارق فى لمانه ، إلى هذا الحد ؟!

لماذا ؟!

سفرها السؤال فى مكانها ، ودفع إلى عقلها عشرات الأسئلة الأخرى ، فالتفتت إلى حيث كانت تتجه مع (باخوس) ، قبل ظهور (أدهم) ، وغمغت :

- هل ... ؟

لم تتم السؤال ، الذى استقر فى أعين سمعها ، وملأ كيانها ، وعريد فى نفسها حتى النخاع .. ثم خفضت فوهة مدفعها الآلى ، وبرقت عينها على نحو عجيب .. نحو يجمع ما بين الذكاء .. والدهاء ..

والشر ..

زوى المفتش (لوبيز) ما بين حاجبيه فى قلق وحيرة ، وهو يتلقى إشارة الدورية الثانية ، التى تنتظر (أدهم) عند مدخل مدينة (ريو دى جانيرو) ، وقال فى عصبية وتوتر :

- ماذا تعنى بأنه لم يظهر بعد ؟!

أجابه قائد الدورية الثانية ، عبر اللاسلكى :

- ما زلنا ننتظره أيها المفتش ، ودورية الهليوكوبتر
ترصد الطريق كله . ولم يظهر أى أثر له .

قال (لوبيز) فى حق :

- أين ذهب إن ؟ .. هل اختفى ؟

قال قائد الدورية الثانية :

- ربما توقف فى منتصف الطريق ، أو اختفى فى
واحدة من الاستراحات الخاصة .

قال (لوبيز) فى حدة :

- فليكن .. واصلوا الانتظار والبحث ، حتى أصل
إليكم .

أنهى الاتصال ، واحتقن وجهه فى ضيق وغيظ ، وهو
يقول لنفسه :

- إنه لم يختف حتمًا .

راح عقله يدرس كل ما حدث ، ويبحث عن تفسير
منطقي لاختفاء سيارة (أدم) ، حتى اعتدل فجأة . هاتفاً :

- قف .

ضغط سائق سيارته الفرامل فى عنف ، وبحركة
غريزية تمامًا ، فاندفع جسد (لوبيز) إلى الأمام ، وكاد
يرتطم بمقعد السائق ، فى حين ارتطم رأس الجندى
المرافق له بزجاج السيارة الأمامى ، فهتف المفتش فى
غضب :

- أأصابك الجنون ؟!

قال السائق فى ارتباك :

- معذرة يا سيّور (لوبيز) ، ولكنك أمرتني بالتوقف ،

و ...

لم يجد ما يتم به عبارته ، فاكتفى بما قال ، فى حين
غشم أحد الجنديين ، اللذين يرافقان (لوبيز) :

- لقد توقف الجميع .

تجاهل (لوبيز) هذا التعليق ، وقال :

- أليكم خريطة للطرق ؟

أمرع السائق يناوله خريطة الطرق ، ففردها
(لوبيز) ، وراح يطالعها فى اهتمام بالغ ، ثم أشار إلى

الطريق الفرعى القديم ، قائلاً :

- لقد تجاوزنا هذا الطريق .. أليس كذلك ؟

أجابته الحارس :

- نعم يا سيّدى .. إنه طريق قديم مغلق ، و ...

قاطعها (لوبيز) :

- عد بنا إليه .

بُهِت السائق ، وغشم فى دهشة :

- ولكن يا سيّدى ..

عاد (لوبيز) يقاطع قائلاً :

- فلتنمض السياراتان الأخريان فى طريقهما ، ولتعد نحن إلى ذلك الطريق .

لم يكن أمام الرجال سوى الطاعة ، وعاد السائق أدراجه إلى الطريق الفرعى ، و (لوبيز) يشعر بانفعال جارف فى أعماقه ، وبهاتف يهتف به بكل ثقة ..
ستجد غريمك هناك ..
ستجده حتماً ..

تحرك (باخوس) بكل حذر ، وهو يدور حول التل الشرقى ، وانتبهت حواسه كلها ، وهو يرهف سمعه وبصره ، ولكن كل شيء بدا له ساكناً هادئاً ، حتى أنه سأل نفسه فى قلق :

- هل يختبئ ذلك الرجل هنا حقاً ؟!

لم يكذب يتم عبارته ، حتى سمع حركة مريبة إلى يساره ، فالتفت إلى مصدرها فى سرعة ، ورفع نحوه فوهة مدفعه ، و ...

وفجأة انقض عليه (أدهم) من يمينه ..
وكانت انقضاضة مباغتة ، بدأها (أدهم) بركلة مباشرة للمدفع الألى ، وهو يقول :
- لم أتصور أبداً أن تقع فى ذلك الفخ التقليدى .

فوجئ (باخوس) بهذا الهجوم ، وأحنقه أن فقد مدفعه الألى ، فدار على عقبه ، ولكم (أدهم) فى معدته ، هاتفاً :
- المهم من ينتصر فى النهاية .

فى الظروف العادية كان (أدهم) سيتفادى مثل هذه اللكمة فى مرونة وخفة ، ثم يحطم فك غريمه بلكمة كالقنبلة ..

ولكن (أدهم صبرى) بشر ..
صحيح أن قدراته تفوق قدرات الإنسان العادى ، ولكنها - فى الوقت ذاته - لا تتجاوز أبداً قدرات البشر العادى ..
وما من بشر يحتمل كل ما احتمله هو ..

والواقع أنه حاول تفادى اللكمة ، إلا أن ضعفه والدماء التى فقدوها ، والجروح التى تشخن جسمه ، كلها عوامل جعلت لكمة (باخوس) تصيب هدفها تماماً ، وتغوص فى معدة (أدهم) ، الذى تراجع خطوة إلى الوراء ، ثم استجمع قوته كلها ، وانقض على غريمه مرة ثانية ، وكال له لكمة كالقنبلة ، أو هو أرادها كذلك ..

وأصابته اللكمة فك (باخوس) ، ودفعته إلى الخلف ، ولكنها لم تفقده وعيه ، كما أراد (أدهم) ، وإنما ضاعلت من غضبه وحنقه ، فصرخ :
- لأحد يفعل هذا بـ (باخوس) ..

وفي حركة سريعة ، استلّ خنجره ، وانقض به على (أدهم) ، ولكن هذا الأخير استقبله بركلة أودعها كل قوته ، استقرت بين ساقى الرجل ، وجعلته يطلق شهقة ألم قوية ، قبل أن يدفع (أدهم) قدمه الثانية فى معدته ، ويلقيه على قيد متر واحد منه ..

وتفجر مزيد من الحنى والغضب والثورة فى أعماق (باخوس) ..

كان يعلم جيداً أن خصمه رجل فقد لتراً كاملاً من دمه على الأقل ، وأنه قد بذل من الجهد ما يفوق جهد فرقة صغيرة من الجنود ، وعلى الرغم من هذا فقد كان قادراً على القتال ..

والانتصار ..

ونفض (باخوس) مرة ثانية ، ولكن (أدهم) استقبله بركلة جديدة ، أطاحت بخنجره ، وأخرى أصابت فكه ، وألقته مرة أخرى على ظهره ..

وفي هذه المرة قفز (باخوس) واقفاً على قدميه ، وأطلق صرخة قتالية ثائرة عنيفة ، ثم وثب نحو (أدهم) ، صارخاً :

- لن أسمح لك .. لن أسمح لك أبداً .

فى هذه المرة أصابت ضربه صدر (أدهم) ، ونجحت



ونفض (باخوس) مرة ثانية ، ولكن (أدهم) استقبله بركلة جديدة ، أطاحت بخنجره ، وأخرى أصابت فكه ..

ضربته الثانية فى إصابة فكه ، فسقط (أدهم) أرضاً ،
و ...

وهنا قفز (باخوس) إلى مدفعه الآلى ، والتقطه بسرعة
كبيرة ، ثم اعتدل واقفاً ، وهتف :

- خسرت يا رجل .. إنها نهاية رحلتك ..
تحرك (أدهم) بسرعة ، لتفادى الفوهة القاتلة ،
المصوبة إلى صدره ..

ولكن (باخوس) لم يمهله هذه المرة ..
لقد ضغط زناد مدفعه الآلى ..
وانطلقت الرصاصات فى الطريق القديم ..
وفاز الموت بضحية جديدة .



٩ - السقوط ..

غادر (لوبيز) سيارة الشرطة ، عند بداية الطريق
القديم ، وانحنى يفتحص الأرض عند بدايته ، فى اهتمام
بالغ ، ثم لم يلبث ثغره أن افتر عن اهتمامة واثقة ، وهو
يقول :

- كما توقعت تمامًا .
سأله أحد الجنديين المرافقين له :
- هل استخدم هذا الطريق يا سيدي ؟
أجابه (لوبيز) :

- نعم .. وهاهى ذى آثار إطارات سيارته .. إنها آثار
حديثه لإطارات سيارة رياضية صغيرة .. من ذا الذى
يجازف بقطع طريق مقفر كهذا سواه ؟
وعاد إلى السيارة ، وهو يقول للسائق :
- هيا .. سنلتحق به .

أطاعه السائق نون مناقشة ، فى حين أعذ الجنديان
مدفعيهما ، وتتهد هو فى ارتياح ، قائلاً :
- سنجده حتماً هناك ، فالطريق تعرض لانهيار فى
العام الماضى ، ولن يمكنه عبوره إلى النهاية .

سأله أحد الجنديين :

- هل تطلق النار فور رؤيته ؟

أجابته (لوبيز) على الفور :

- وبدون تردد .

ثم تراجع مستنذاً إلى ظهر مقعده ، ومستطرذاً في بغض واضح :

- إننا لانتلك سوى قتله .. وهو يستحق هذا .

وتقاطرت الكراهية مع حروف كلماته ، مع متابعته :

- يستحقه تماماً .

(أدهم صبرى) هو (أدهم صبرى) ..

حتى وهو يعاني كل الضعف والوهن والإجهاد ..

لقد دفعه (باخوس) ، وأسقطه أرضاً ، وصوب إليه

مدفعه الآلى ..

ولكن (أدهم) تحرك فى سرعة ..

وكالمعتاد ، كانت حركته أكثر سرعة من حركة

(باخوس) ، فالتقط خنجر هذا الأخير ، الذى سقط أرضاً ،

واستدار فى سرعة ، وألقاه نحو صاحبه ، بكل مهارته

وحنكته ، وخبرته فى هذا المجال .. وأصاب الخنجر

هدفه ، وانغرس حتى مقبضه فى قلب (باخوس) ، الذى

جحظت عيناه فى شدة ، واعتصرت منابته زناد المدفع

الآلى بحركة غريزية ، فانطلقت الرصاصات تدوى فى

الطريق القديم ، قبل أن يسقط (باخوس) جثة هامدة ..

وترك (أدهم) جسده يتهالك فوق الرمال ، وهو يلهث

فى شدة ..

لقد بذل فى الواقع جهذا جسدياً ونفسياً ، يفوق قدرات

البشر ..

صحيح أنه قتل (باخوس) دفاعاً عن نفسه ، ولكنه كان

يشعر بالضيق والإرهاق ..

إنه ببغض القتل ..

يبغضه ، حتى ولو لم يكن هناك بديل عنه ..

ومن بعيد ، تنأهى إلى مسامعه صوت محرك سيارة ..

كان هذا كفيلاً يدفع مزيد من التوتر إلى أعماقه ، لولا

أن صوت المحرك كان يبتعد عنه ، لا يقترب منه ..

واستجمع (أدهم) ما تبقى من قوته ، وهو ينهض ،

مقاوماً الدوار العنيف ، الذى يحيط به ، واتجه إلى جثة

(باخوس) ، فانتزع منه مدفعه الآلى ، الذى بدا له ثقيلاً

كمدفع مضاد للطائرات ، وهو يجز قذميه جراً ، عانداً إلى

حيث ترك (منى) ..

كان يعتصر آخر قطرة دم فى عروقه ، حتى لا يتخلل

عنها ..

يبذل آخر نفس من أنفاسه ، فى سبيل إنقاذها ..
 وعبر الطريق غير الممهّد ، راح يسير على نحو أقرب
 إلى الزحف ، وبمه يرسم خطاً من الإرادة والألم من خلفه ،
 حتى بلغ جدارى الصخر ..
 وهناك هوى قلبه بين ضلوعه ..
 كان كل شيء فى موضعه ..
 الصخرتان الكبيرتان ..
 سترته التى صنع منها مظلة واقية ..
 كل شيء إلا (منى) ..
 لقد اختفت ..
 اختفت تماماً ..
 وبثورة لاحذ لها ، اندفع نحو جدارى الصخر ، وهتف :
 - (منى) .. أين أنت ؟
 فجأة تذكر صوت محرك السيارة التى تبعد ..
 وتذكر (زيليا) ، التى اختفت فجأة ..
 واحتقن وجهه ، بكل ما تبقى فى جسده من دماء ..
 لقد سقطت (منى) مرة أخرى فى قبضة (ليفى) ..
 قبضة السفاح ..
 امتزجت المرارة بالغضب فى أعماقه ، فصرخ مرة
 أخرى :
 - (منى) .

وقبل أن يتلاشى صدى صرخته ، ظهرت سيارة
 (لوبيز) ، الذى وقع بصره على (أدهم) ، فتألفت عيناه ،
 وهو يقول فى لهفة وشراسة :
 - ها هو ذا ..
 وانطلقت السيارة نحو (أدهم) ..
 وأطلقت منها فوجئاً مدفعين آليين ..
 وعادت أصوات الرصاصات تغمر المكان ..

احتقن وجه (برونو) فى شدة ، وهو يستمع إلى
 (ليفى) ، فى حجرة مكتب هذا الأخير ، الذى بدا شديد
 الزهو والشماعة ، وهو يقول :
 - ربما كان هذا درساً لك يا رجل المخابرات الأمريكية ،
 فالكمبيوتر قد يصلح فى دراسة الجدوى لمشروع تجارى
 كبير ، أو لحساب أرباح الأسهم والسندات ، التى يمتلكها
 موظف مرتش ، ولكنه لا يصلح أبداً لمطاردة خصم ذكى
 عنيد .
 قال (برونو) فى ضيق :
 - الكمبيوتر يصلح فى كل الأحوال يا سيادة السفير ،
 ولكن من الضرورى أن تمنحه كل المعلومات اللازمة ،

حتى يمكنه وضع الحلول المنطقية ، وفي هذه المهمة ،
حجبت عنه عمداً مطومة شديدة الأهمية .

قال (ليفى) ساخراً :

- ولماذا لم تحصل عليها بنفسك أيها العبقري ؟ .. لم
يكن الأمر يحتاج منك لأكثر من خريطة قديمة للطرق .

قال (برونو) :

- أعترف أنني أخطأت فى هذا ، ولكن المفروض أن
نتعاون ، للإيقاع بذلك الرجل ، ولكنكم - على العكس من
هذا - تتعاملون وكأننا نتنافس فى هذا المجال .

قال (ليفى) مستكراً :

- نتنافس ؟!

ثم مطّ شفتيه فى ازدياء ، مستطرداً :

- إنك لاتصلح حتى لمنافستى يافتى ، فلقد بدأت أنا
أعمال المخابرات ، قبل أن تنتقل أنت من ارتداء المروال
القصير إلى الطويل ، وللخبرة قيمة ضخمة ، فى عملنا
هذا .

رمقه (برونو) بنظرة غيظ ، دون أن ينبس ببنت شفة ،
فتابع هو مزهواً :

- وماحدث ثبت لك أن العقل الخبير يفوق أجهزة
الكمبيوتر ، فى عالمنا هذا .

قال (برونو) :

- هذا لو انتصر ..

انعتقد حاجبا (ليفى) فى غضب ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟ ؟

قال (برونو) فى حدة ، وكأنه يفرغ شحنة التوتر فى
أعماقه :

- أعنى أن العقل الخبير لم يحقق انتصاراً واضحاً حتى
الآن .. ربما تكون قد استنتجت أين سيته خصمنا ، ولكن
يبقى الأمر مجرد استنتاج ، لم يتم دعمه بعمل واضح .
قال (ليفى) فى عصبية .

- الأمر يكاد يكون محسوماً ، فالطريق مغلق ،
و (باخوس) و (زيليا) ينتظران بمدفع مضاد للطائرات
فى منتصفه ، فى حين يطارد (لوبيز) (الألفا روميو) ..
كيف يمكن له الفرار إذن ؟

أجابه (برونو) ، مستخدماً لهجة استفزازية ساخرة :

- كما فعل من قبل .

ضرب (ليفى) سطح مكتبه فى قوة ، صارخاً :

- لن يفعل هذه المرة .

أصابته ضربته زجاج المكتب ، فتحطم بصوت مكتوم ،
وهتف (دان) فى جزع :

- روبندك يا سندی السفیر .

ابتسم (برونو) فی سخریة ، وقال :

- ترى هل يمكنك أن تفعل به ، كما فعلت بزجاج

مكتبك ؟

هم (لبي) بقول شيء ما ، عندما ارتفع رنين هاتفه

الخاص ، فالتقط ساعته بحركة سريعة ، وهو يقول فی

حدة :

- من المتحدث ؟

بدت اللفظة فی صوته فجأة ، وهو يهتف :

- (زيليا) !.. إني أنتظر محادثتك منذ ساعة على

الأقل .. ماذا حدث ؟.. هل نغتما المهمة بنجاح ؟

أجابته (زيليا) فی هدوء ، وهي تشعل سيجارتها :

- يمكنك أن تقول هذا .

هتف فی حدة :

- أية إجابة هذه ؟.. هل نجحتما أم لا ؟

أجابته :

- نجحنا بنسبة خمسين فی المائة .

قال محققا :

- ما الذي يعنيه هذا ؟

أجابته وهي تنفث دخان سيجارتها :

- لقد أصاب (باخوس) السيارة ، ولكن الرجل والفتاة

بقيا على قيد الحياة ، وحاول الرجل جذب انتباهنا بعيدا عن

الفتاة ، ولكنني انتهيت إلى هذا ، وقررت تنفيذ الخطة

البديلة ، التي أمرتنا بها ، وتركت (باخوس) مع الرجل

هناك ، فی منتصف الطريق القديم .

هتف فی لهفة :

- أتعنين أنك عثرت على الفتاة ؟

ابتسمت فی سخریة ، وهي تلقى نظرة على (منى) .

الفاقة الوعي فوق فراش صغير ، فی ركن حجرتها ،

وقالت :

- بالطبع .. عثرت عليها ، وحملتها إلى (الجيب) .

وأسرعت بها إلى هنا .

ونقضت رماد سيجارتها ، مستطردة :

- وأنتظر مكافأتي بالطبع .

صاح فی جنل :

- ستحصلين عليها بالتأكيد يا (زيليا) .. احتفظي بهذه

الشيطاتة لديك ، واحرصي على ألا تفرق قط ، مهما كان

الثمن ، وسأرسل (دان) لتسلمها منك ، وتسليمك

المكافأة .

أنهى المحادثة ، والتفت إلى (برونو) ، قائلا فی

شعامة :

- لقد نجحنا أبها الأمريكي .

قال (برونو) في عصبية :

- ولكنك لم تقتص غريمك كما فهمت باسيادة السفير .

قال (ليفي) في حدة :

- فليكن أبها الأمريكي ، ولكن لدينا الآن مانساومه
بشأنه .

قال (برونو) :

- كما فعلتم من قبل .. أليس كذلك ؟ ..

هيب (ليفي) واقفاً ، وهو يقول :

- لن يتكرر ما حدث .

ثم التفت إلى (دان) ، وقال :

- انطلق الآن يا (دان) .. استقل طائرة خاصة إلى
(ريودي جانيرو) ، وخذ معك فريقاً من أقوى رجالنا ،
وتسلموا هذه الفتاة من (زيليا) ، وضعها في صندوق
ديبلوماسي ، وارحل بها من هنا .

سأله (دان) :

- إلى أين ؟

عقد (ليفي) كفيه خلف ظهره ، ورفع هامته في
اعتداد ، وهو يرمق (برونو) بنظرة ساخرة ، قائلاً :

- إلى وطننا يا عزيزي .

واتسعت عينا (برونو) في دهشة ، عندما أضاف في

حزم :

- إلى (إسرائيل) ..

وانتقلت دهشته إلى (دان) ..

لم يدر (أدهم) ماذا أصابه ، عندما رأى سيارة (لوبيز)
تنتقل نحوه ، وفوهتا المدفعين الآليين تطلان من
نافذتيها ..

لقد تفجر في أعماقه غضب هائل جبار ، فرفع فوهة
مدفعه الآلي نحو السيارة بدوره ، وصرخ باسم (منى) ..
ثم فتح النيران ..

لا أحد يدرى من أين وجد كل هذه القوة ، التي تدفقت في
عروقه ، والتي جعلته يواجه رصاصات رجال الشرطة بكل
بسالة وعناد ..

وأصاب رصاصاته السيارة ، وسانقها ، وأحد
الجنود ..

وانحرفت السيارة في عنف ، وارتطم جانبها الأيمن
بالصخور ، وتوقفت فصرخ (لوبيز) في رعب :

- اقتله .. اقتله قبل أن يقتلنا .

أسرع الجندي المتبقي ينتزع قنبلة من حزامه ، ويجذب
فتيلها في ذعر ، ثم يقذفها نحو (أدهم) ..
وسقطت القنبلة على قيد متر واحد من (أدهم) ..

وتراجع رجل المستحيل فى سرعة ..
ولكن القنبلة كانت من النوع المريع الانفجار ..
فانفجرت ..

وشعر (أدهم) بموجة تضاعط عنيفة تدفعه إلى الأمام ،
وتقذف به ثلاثة أمتار ، ثم تلقيه أرضا فى قسوة ..
ومع ذلك الدوار ، الذى سيطر على كيانه كله هذه
المرة ، سمع ذلك الدوى العجيب ، الذى شمل المنطقة
كلها ..

دوى ارتجاج قوى ..
ثم حدث الاتهيار ، وسقطت أطنان الصخور على رأس
الرجل ..
رجل المستحيل ..

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث

(الهدف)